عَينُ الهُدْهُد..

الطبعة الأولى 2023

تصميم: شربل إلياس

حقوق الطبع والنَّشر محفوظة للنّاشر

مكتبة كلّ شيء حيفا

يُمنع طبع، أو تصوير، أو نقل أَيِّ مادَّة من الكتاب،
دون موافقة خَطيَّة مسبقة من النّاشر.

الناشر: مكتبة كلّ شيئ - حيفا 2022
ناشرون

info@kul-shee.com
www.kul-shee.com

ISBN 987-965-7789-98-8

حسين مهنّا

عَينُ الهُدْهُد..

إِضاءات

الفهرست

الهُدْهُد	12
وخَيرُ جَليسٍ..	14
المَكْتَباتُ..	16
الثَّقافَةُ..	18
الكِتابَةُ..	20
الكاتِبُ..	22
الالْتِزامُ..	24
عَنِ الفَنِّ..	26
عَنِ المَدارِسِ الأَدَبِيَّةِ..	29
الفَنُّ الهادِفُ..	31
الحَداثَةُ..	33
الشِّعْرُ..	35
قَصيدَةُ العَمود..	37
قصيدَةُ التَّفْعيلَةِ..	39
قصيدَةُ النَّثْرِ!!	41
النَّقْدُ..	43

النّاقِدُ.. 45
القِصَّةُ القَصيرَةُ.. 47
الرِّوايَةُ.. 49
المَسْرَحِيَّةُ.. 51
المَقالَةُ.. 53
أَدَبُ الأَطْفالِ.. 55
الأَدَبُ الشَّعْبِيُّ.. 57
السّينَما.. 59
الرّاديو أو (المِذْياع) 62
أَدَبُ الرِّحْلاتِ.. 64
أَدَبُ السّيرَة.. 66
القِصَّةُ القَصيرَةُ جِدًّا! 68
الوُضوحُ والغُموضُ في الأَدَبِ.. (1) 70
الوضوحُ والغُموضُ في الأَدَبِ.. (2) 72
الوُضوحُ والغَموضُ في الأَدَبِ.. (3) 74
الشُّهْرَةُ.. 76
النُّجومِيَّةُ.. 79

الجوائِزُ الأَدَبِيَّةُ.. 81
الأُسْلوبُ.. 83
المُطالَعَةُ.. 85
عَنِ القِراءَةِ والكِتابَةِ والميديا..! 87
لُغَتُنا العَرَبِيَّةُ.. 90
العَرَبِيَّةُ المَحْكِيَّةُ.. 93
التَّرْجَمَةُ.. 95
العالَمِيَّةُ.. 97
كُتّابُ العَمودِ.. 99
الذَّوقُ.. 101
الجَوهَريُّ والعَرَضِيُّ.. 103
الرَّأْيُ العامُّ.. 105
رُوحُ القَطيعِ.. 107
ضِدُّ التَّيّارِ.. 109
التَّقاعُدُ.. 111
الفَراغُ.. 114
الهِوايَةُ.. 116

الوَقْتُ.. 118
نَحْنُ والوَقْتُ.. 120
نَحْنُ والأَسْماءُ.. 122
الكُنْيَةُ.. 125
نَحْنُ والأَلْوانُ.. 127
الرِّياضَةُ.. 130
الرِّياضَةُ تَرْبِيَةٌ جَسَدِيَّةٌ نَفْسِيَّةٌ.. 132
كُرَةُ القَدَمِ 134
المُصارَعَةُ وأَخَواتُها.. 136
الشَّطْرَنْجُ.. 138
الكُرْسي.. 140
العَصا.. 142
السُّبْحَةُ.. 144
الحُبُّ.. المَحَبَّةُ.. 146
الكَراهِيَةُ.. 148
الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ.. 150
الرَّبيعُ.. 152

لُغَةُ الزُّهورِ.. 154
الجَمَالُ.. 156
كُتُبٌ صَدَرَتْ لِلشّاعر: 158

حسين مهَنّا

عَينُ الـهُدْهُد..

الهُدْهُد

كَثيرونَ سَيَقْرَؤُونَ هذهِ الأَسْطُرَ، وبَعْضُ تَفْكيرِهِم، أَو جُلَّهُ، سَيَظَلُّ يَحومُ حَولَ العُنْوانِ ولِماذا اخْتَرْتُ هذا الطّائِرَ من دونِ سائِرِ الطَّيرِ لِأَكْتُبَ عَنْهُ! ولِكَي أُريحَ القارِئَ الكَريمَ من عَناءِ ثِقْلِ حُبِّ الاسْتِطْلاعِ أَقولُ: الهُدْهُدُ طائِرٌ لَهُ عُرْفٌ مُمَيِّزٌ/ مُمَيَّزٌ، وحاشا أَنْ يَكونَ تاجًا، فالتِّيجانُ لِلْمُلوكِ، وهذا الطَّائِرُ من أَصْدِقاءِ الفَلاّحينَ، فَهْوَ يُنَظِّفُ الأَرْضَ مِنَ الدّيدانِ واليَرَقاتِ والآفاتِ؛ ولِذا فَوجودُهُ ومُشاهَدَتُهُ تُشَكِّلانِ عَلامَةً ودَليلًا على نَقاءِ البيئَةِ.

وعَن هذا الطّائِرِ الجَميلِ، قالَتِ العَرَبُ فيما قالَتْ: أَبْصَرُ من هُدْهُدٍ لِقُوَّةِ إِبْصارِهِ، وقالَ جَدُّنا أَبو عُثْمانَ عمرو بن بَحْر الجاحِظُ: زَعَموا أَنَّهُ هوَ الّذي يَدُلُّ سُلَيمانَ على مَواضِعِ الماءِ تَحْتَ الأَرْضِ.. وجاءَ في القُرْآنِ الكَريمِ على لِسانِ سَيِّدِنا سُلَيمانَ (...وتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقالَ ما لي لا أَرى الهُدْهُدَ أَمْ كانَ منَ الغائِبينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا أَو لَأَذْبَحَنَّهُ أَو لَيَأْتِيَنّي بِسُلْطانٍ مُبينٍ (21) فَمَكَثَ غَيرَ بَعيدٍ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وجِئْتُكَ من سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقينٍ

(22). (صَدَقَ اللّهُ العَظيم – سورَةُ النَّمْلِ).

أَقولُ.. هَلْ على الكاتِبِ أَنْ يَكونَ فيهِ بَعْضُ ما في الهُدْهُدِ مِنَ النَّباهَةِ فَيَكْشِفَ عَمّا يَدورُ في المُجْتَمَعِ الّذي يَعيشُ فيهِ ويَأْتي القارِئَ بِنَبَإٍ مُبينٍ!؟ الجَوابُ نَعَمْ! وعِنْدَها، على القارِئِ أَنْ يُطَوِّعَ نَفْسَهُ لِلْقِراءَةِ المُتَأَنِّيَةِ كَي تَكونَ الفائِدَةُ عارِمَةً، وعَلَيْهِ أَيضًا أَنْ يُقَلِّبَها ويُناقِشَها في دَخيلَتِهِ بِذِهْنٍ مُتَفَتِّحٍ؛ وما الكاتِبُ والقارِئُ إلّا رَفيقا دَرْبٍ، فَإِنْ كانَ حَديثُ الكاتِبِ خَفيفًا على قَلْبِ القارِئِ قَصُرَ الدَّرْبُ وإِنْ كانَ طَويلًا، وإِنْ ثَقُلَ طالَ ولو كانَ قَصيرًا.

(البقيعة/الجليل) 2/12/2015

وخَيرُ جَليسٍ..

لو نَطَقَ الكِتابُ لَقالَ: أَنْ تَتَناوَلَني يَدٌ من على رَفِّ المَكْتَبَةِ خَيرٌ عِنْدي، وأَخَفُّ على قَلْبي من أَنْ تُضْرَبَ الأَمْثالُ فِيَّ، وأَكونَ نَسْيًا مَنْسِيًّا.. مَنْ مِنّا لا يَحْفَظُ ما قالَ جَدُّنا المُتَنَبِّيّ عَنِ الكِتابِ واصِفًا إيّاهُ كَأَفْضَلِ جَليسٍ؟ مُجالَسَةُ الكِتابِ هي أَنْ نَقْرَأَهُ، وأَفْيَدُ القِراءاتِ وأَمْتَعُها أَنْ تَتِمَّ في خَلْوَةٍ مَعَ الذّاتِ كي يَكونَ الاسْتيعابُ تامًّا، والاهْتِمامُ مُنْصَبًّا على المادَّةِ المَقْروءَةِ؛ ولا يَهُمُّ إنْ كانَتْ في البَحْثِ العِلْمِيِّ أَو في التّاريخ، أَو أَنْ تَكونَ رِوايَةً أَو ديوانَ شِعْرٍ. كُلُّ هذِهِ تَتَجَمَّعُ لِتُصْبِحَ نورًا يَسْتَنيرُ العَقْلُ بِهِ؛ تَمامًا كَاخْتِلاطِ أَنْواعِ الطَّعامِ في المَعِدَةِ، تَتَمازَجُ لِتُصْبِحَ مُسْتَحْلَبًا يُغَذّي الجَسَدَ. إنَّهُ الظُّلْمُ بِعَينِهِ حينَ يَعْتَقِدُ البَعْضُ أَنَّ بَعْضَ الكُتُبِ لا تَحْمِلُ لِلْقارِئِ نَفْعًا، وأَنَّ قِراءَتَها مَضْيَعَةٌ لِلْوَقْتِ! لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ كِتابًا لا يَحْمِلُ نَفْعًا، إنْ لَمْ يَكُنِ النَّفْعُ في المَضْمونِ فَبِاللُّغةِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لا بِاللُّغَةِ ولا بِالمَضمونِ فَبِتَجْرِبَةِ الكاتِبِ نَفْسِهِ. الكاتِبُ الرُّوسي الشَّهيرُ مَكْسيم غوركي (1868 – 1936م)

مَثَلًا، يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ تَعَلَّمَ مِنَ الكِتابِ السَّيِّئِ مِثْلَما تَعَلَّمَ مِنَ الكِتابِ الجَيِّدِ، تَعَلَّمَ منْ هذا كَيْفَ يَكونُ كاتِبًا جَيِّدًا، وتَعَلَّمَ من ذاكَ كَيفَ يَكونُ كاتِبًا جَيِّدًا أَيضًا، وذلِكَ بِمَعْرِفَةِ النُّصوصِ السَّيِّئَةِ وتَجَنُّبِها. مُجالَسَةُ الكِتابِ تَعْني خِطابَ العَقْلِ لِلْعَقْلِ، هي تَواصُلٌ بَينَ فِكْرَينِ، هي امِّحاءُ الزَّمَنِ، فلا ماضٍ ولا حاضِرٌ ولا مُسْتَقْبَلٌ! إِنَّها حالَةُ انْتِشاءٍ لا تَعْتَرِفُ بِزَمانٍ أَو مَكانٍ. وقَدْ يُسْأَلُ السُّؤالُ: هلِ الميديا الحَديثَةُ بِكُلِّ أَشْكالِها سَتُلْغي الطِّباعَةَ الوَرَقِيَّةَ؟! أَقولُ جازِمًا لا.. والتَّعليلُ شَرْحُهُ يَطولُ أَخْتَزِلُهُ بِأَنَّ الطِّباعَةَ الوَرَقِيَّةَ سَتَظَلُّ الضَّمانَ الوحيدَ لِحِفْظِ الإِبْداعِ الإِنْسانِيِّ فيما لو تَعَطَّلَتْ مُقَوِّماتُ الميديا أَو تَقَوَّضَتْ. وسَتَظَلُّ المَكْتَباتُ تُزَيِّنُ صالوناتِنا بِأَشْكالِها ومَضامينِها.

(البقيعة/الجليل)9/12/2015

المَكْتَباتُ..

قُلْتُ لِذاتي وأَنا أُراجِعُ مَشْهَدَنا الثَّقافِيَّ: ما أَكْثَرَ المَكْتَباتِ العامَّةَ - بَلْهَ الخاصَّةَ- اليومَ، وما أَقَلَّ القُرَّاءَ! ولَيتَ الأَمْرَ كانَ مَعْكوسًا! وأَفْضَلُ مِنْ هذا وذاكَ أَنْ يَكونَ القَولُ ما أَكْثَرَ المَكْتَباتِ وما أَكْثَرَ القُرَّاءَ! ولَو كانَ كَذلِكَ لَضَمِنَّا لِأَنفُسِنا ولِأَبْنائِنا وأَحْفادِنا بيئَةً مُعافاةً ومُجْتَمَعًا راقِيًا؛ ولكِنْ هَيهاتَ! ما دُمْنا نَتَلَهّى بِقُشورِ الأُمورِ دونَ لُبابِها، ونَقْضي الوَقْتَ بلْ نَقْتُلُهُ بِأَتْفَهِ الأُمورِ، وما أَكْثَرَها! ما دامَتْ تُريحُنا من عَناءِ القِراءَةِ والبَحْثِ والتَّنْقيبِ، ومَعْلومٌ أَنَّ الإِنْسانَ يميلُ إِلى الرّاحَةِ طَبْعًا، ويَجْنَحُ إِلى المُتْعَةِ كَسَلًا! ولَو عَرَفَ مُتْعَةَ القِراءَةِ لما عافَها، وداوَمَ عَليها لِتُصْبِحَ عادَةً بَلْ إِدْمانًا بِمَفْهومِهِ الإِيجابِيِّ، يُلْهيهِ عَنِ الكَثيرِ مِنْ عاداتٍ قَدِ اعْتادَها.. لا أُريدُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْ حَديثي هذا أَنْ نَتْرُكَ أَشْغالَنا وأَعْمالَنا وواجِباتِنا اليَومِيَّةَ ونَتَفَرَّغَ لِلْقِراءَةِ، مَعاذَ اللّهِ! بَلْ أَرَدْتُ أَنْ أُنَبِّهَ الغافِلينَ بِأَنَّ صَداقَةَ الكِتابِ فَوقَ كُلِّ صَداقَةٍ؛ وكَما نَميلُ إِلى مُجالَسَةِ الصَّديقِ فَلا أَقَلَّ من أَنْ نَتَعامَلَ مَعَ الكِتابِ كَما نَتَعامَلُ

مَعَ الصَّديقِ فَنُجالِسُهُ كُلَّما اسْتَطَعْنا إلى ذلِكِ سَبيلًا؛ وهذا أَضْعَفُ الإيمانِ!

قَدْ نَبْني مَكْتَبَةً بِقَليلٍ أَو بِكَثيرٍ مِنَ المالِ، فَهَلْ نَسْتَطيعُ بِقَليلٍ أَو بِكَثيرٍ مْنَ الجُهْدِ أَنْ نَبْنِيَ قارِئًا؟ أَقولُ نَعَمْ! فَرِيادَةُ المَكْتَباتِ العامَّةِ مَعَ أَطْفالِنا، وزِيارَةُ مَعارِضِ الكُتُبِ وشِراؤُها تَبْني الطِّفْلَ ثَقافِيًّا، وتَجْعَلُهُ يُدْرِكُ، باكِرًا أَنَّ لِلْكِتابِ قيمَةً، وهو ضَرورَةٌ لِعُقولِنا كَالطَّعامِ الّذي هو ضَرورِيٌّ لِجُسومِنا.

ورِيادَةُ المَكْتَباتِ عنْدي لا تعْني اسْتِعارَةَ كِتابٍ وحَمْلَهُ إلى البَيتِ فَقَطْ بلْ المُكوثَ في المَكْتَبَةِ والجُلوسَ على كُرْسِيٍّ مُريحٍ مَعَ ضِيافَةٍ مُتَواضِعَةٍ، وتَوْفيرَ الجَوِّ الهادِئِ المُساعِدِ على القِراءةِ لِأَطْوَلِ وَقْتٍ مُمْكِنٍ، وهذا بَعْضٌ من كُلٍّ.. تُرى هَلْ يَتِمُّ ذلِكَ بِدونِ قاعَةٍ هُنْدسَتْ هَنْدَسَةً عَصْرِيَّةً وأُعِدَّتْ سَلَفًا لِتَكونَ مَكْتَبَةً عامَّةً؟ لا أَعْتَقِدُ! فَماذا يَعْتَقِدُ أُولي الأَمْرِ في إدارَةِ شُؤُونِ قُرانا...؟

(البقيعة / الجليل) 16/11/2015

الثَّقافَةُ..

كَثيرًا ما يُطْرَحُ السُّؤالُ: ما هيَ الثَّقافَةُ؟ ومَنْ هوَ المُثَقَّفُ؟ ولِلْحَقيقَةِ أَقولُ وبِالرَّغْمِ منَ اجتِهاداتِ الكَثيرينَ تَظَلُّ الإِجابَةُ مَنْقوصَةً وغَيرَ مُحَدَّدَةٍ كَما هي في الرِّياضِيّاتِ مَثَلًا، لِأَنَّها تَأْتي كَوُجُهاتِ نَظَرٍ تُعَبِّرُ عن آراءِ أَصْحابِها. هُنالِكَ مَنْ قالَ: الثَّقافَةُ تَكْمُنُ في القِراءَةِ والمُطالَعَةِ في شَتّى الآدابِ والعُلومِ. وهُنالِكَ مَنْ قالَ: الثَّقافَةُ هي ما تَبَقّى لَنا في الذَاكِرَةِ مِمّا تَعَلَّمْناهُ. أَمّا عَميدُ الأَدَبِ العَرَبِيِّ د. طه حُسَين (1889م – 1973م) فَقَدْ عَرَّفَ الثَّقافَةَ بِتَعْريفَينِ جَميلَيْنِ (اَنْقُلُهُما بِتَصَرُّفٍ)، سُئِلَ: ماهيَ الثَّقافَةُ كَما يَراها طه حُسَين ومَنْ هو المُثَقَّفُ؟ وما الفَرْقُ بَينَهُ وبَينَ المُتَعَلِّمِ؟ أَجابَ: الثَّقافَةُ لِلْمُثَقَّفِ كَالبُسْتانِيِّ الّذي يَعْرِفُ شَيئًا عن كُلِّ شَجَرَةٍ في بُسْتانِهِ؛ أَمّا المُتَعَلِّمُ فَهْوَ كَالبُسْتانِيّ الّذي يَعْرِفُ كُلَّ شَيءٍ عَنْ شَجَرَةٍ واحِدَةٍ في بُسْتانِهِ. فَقيلَ لَهُ أَفْصِحْ! قالَ: الثَّقافَةُ لِلْإِنْسانِ تَجْعَلُهُ إِذا جَلَسَ في أَيِّ مَجْلِسٍ كانَ لا يَشْعُرُ بِغُربَةٍ. مَعْنى ذلِكَ أَنَّ على الإِنسانِ المُتَحَضِرِ أَنْ يُحيطَ عِلْمًا، بِقَليلٍ أَو بِكَثيرٍ

بِآدابِ وعُلومِ عَصْرِهِ، فَإذا تَمَّ لَهُ ذلِكَ حَظِيَ بِاحْتِرامِ الآخَرينَ لِما يَحْمِلُ لَهُم من فائِدَةٍ ومِن مُنْعَةٍ على حَدٍّ سَواءٍ.

يُؤَكِدُ طَرْحَنا هذا ما جاءَ في (المُنْجِد): ثَقَّفَ الرُّمْحَ أَيْ قَوَّمَهُ وسَوّاهُ. وجاءَ في لِسانِ العَرَبِ: ثَقِفَ الشَّيءَ حَذِقَهُ.. ورَجُلٌ ثَقِفٌ أَو ثَقُفٌ أَيْ حاذِقٌ فَهِمٌ. وبِناءً عَلَيهِ فالثَّقافَةُ ليسَتْ خَزْنَ مَعلوماتٍ فَقَطْ، بَلْ يُداخِلُها حَذْقٌ وفَهْمٌ ووَعْيٌ وخِفَّةُ ظِلٍّ، الَّتي بِدونِها يَكونُ كَلامُ المُتَحَدِّثِ – وإِن كانَ مُفيدًا – ثِقْلًا على قُلوبِ المُسْتَمِعينَ.

الثَّقافَةُ دَرْبُها طَويلٌ يَبْدَأُ بِحِضْنِ الأُمِّ وكَنَفِ الأَبِ مُرورًا بِالبيئَةِ فَالمَعاهِدِ العِلْمِيَّةِ فَالمَكْتَباتِ انْتِهاءً بِظُلْمَةِ القَبْرِ! بِدونِ هذهِ المَعْرِفَةِ التَّراكُمِيَّةِ لَنْ يَصِلَ الإِنْسانُ إِلى القَفْزَةِ النَّوعِيَّةِ الّتي تُحَوِّلُهُ من إِنْسانٍ عادِيٍّ إِلى إِنْسانٍ مَعْرِفِيٍّ حَضارِيٍّ يَعْرِفُ كَيفَ يَبْني مُجْتَمَعًا راقِيًا.

الثَّقافَةُ بَحْرٌ وَنَحْنُ السّابِحونَ؛ والفائِزُ مِنّا ذاكَ الّذي يَهْجُرُ المِياهَ العَكِرَةَ على رَمْلِ الشّاطِئِ، ويَضْرِبُ بَعيدًا في لُجَّةِ البَحْرِ!

(البُقَيعة/الجَليل) 23/12/2015

الكِتابَةُ..

حينَ يَجِدُ الكاتِبُ نَفْسَهُ عاجِزًا عنِ الكِتابَةِ؛ أَو قُلْ لا يَعْرِفُ عَمَّا يَكْتُبُ، أَو كَيفَ يَبْدَأُ؛ هذا يَعْني – وهذا رَأْيٌ شَخْصِيٌّ – أَنَّهُ يَمُرُّ في حالَةٍ مِنَ القَلَقِ تُعَكِّرُ عَليهِ صَفاءَ ذِهْنِهِ؛ والكِتابَةُ بِمُخْتَلَفِ أَنْواعِها تَكونُ بِأَمَسِّ الحاجَةِ إِلى صَفاءِ الذِّهْنِ لدى الكاتِبِ.. بِخِلافِ كَونِهِ يَعيشُ حالَةً منَ التَّوَتُّرِ تَأْخُذُهُ بَعيدًا عن جَوِّ الكِتابَةِ والْإِبْداعِ فيه.. عِلْمًا بِأَنَّ لِكُلِّ كاتِبٍ طُقوسَهُ الخاصَّةَ، كَأَنْ يَكْتُبَ على وَرَقٍ خاصٍّ، بِقَلَمٍ وحِبْرٍ خاصَّينِ، وفي وَقْتٍ خاصٍّ، ومكانٍ خاصٍّ.. أَرى أَغْرَبَها ما عَرَفْتُهُ عنْ بَعْضِ الكُتّابِ وبَعْضِ الشُّعَراءِ أَنَّهُمْ يُنْجِزونَ كِتاباتِهم في الْمَقاهي العامَّةِ حيثُ يَعْلُو الهَرْجُ وضَجيجُ النُّدُلِ، وصَخَبُ المارَّةِ وهَديرُ العَرَباتِ!

والكِتابَةُ لَيْسَتْ بِالعَمَلِ الصَّعْبِ لِلْكاتِبِ المُتَمَرِّسِ؛ لكِنْ هذا لا يَعْني استِسْهالَها، وجَعْلَها كِتابَةً بِدونِ هَدَفٍ كما يَفْعَلُ بَعْضُ كُتّابِ الزَّوايا الخاصَّةِ في الصُّحُفِ اليَومِيَّةِ أَو الأُسْبوعِيَّةِ أَحيانًا؛ فاحْتِرامُ القارئِ واجِبٌ مُقَدَّسٌ تَمامًا

كاحْتِرامِ الكاتِبِ الجادِّ لِنَفْسِهِ. والقارِئُ النَّبيهُ يَعْرِفُ لِمَنْ يَقْرَأُ، وهو لا يُحاسِبُ الكاتِبَ على خَطَإٍ لُغَوِيٍّ هُنا، أَو خَطَإٍ إِمْلائِيٍّ هُناكَ؛ أَو كَيفَ يَتَعامَلُ معَ عَلاماتِ التَّرْقيمِ، فَهذا أَمْرٌ مَتروكٌ لِلنَّاقِدِ الكَريمِ؛ لكِنَّهُ يُطالِبُهُ بِسَلاسَةِ تَركيبِ جُمَلِهِ وتَسَلْسُلِها، ووُضوحِها، وجَماليَّةِ مُفْرَداتِها، كَما يَتَوَقَّعُ مِنْهُ مُعالَجَةَ المَواضيعِ الَّتي تَهُمُّهُ بِعُمْقٍ وحُسْنِ دِرايَةٍ؛ إِذْ لا يُعْقَلُ أَنْ يَكْتُبَ عَنِ التَّمْثيلِ الكلوروفيلي، مَثَلًا، وهو لا يَفْقَهُ في الزِّراعَةِ شَيئًا.. هذا يَعْني أَنَّ لِثَقافَةِ الكاتِبِ دَوْرًا أَساسِيًّا في عَمَلِهِ، وعَلَيهِ أَنْ يَكونَ على قِسْطٍ وافِرٍ مِنَ النَّباهَةِ، فَيَعْرِفَ مَتى يُسْهِبُ، ومتى يَخْتَصِرُ، ومَتى يَكونُ جادًّا، ومَتى يَكونُ هازِلًا؛ لِيَجْعَلَ من كِتابَتِهِ حَديقَةً فيها من أَصْنافِ الوُرودِ وأَلْوانِ الشَّجَرِ ما يُفْرِحُ قُلوبَ الزّائِرينَ.

(البُقَيعة /الجَليل) 30/12/2015

الكاتِبُ..

لَنْ أُنَصِّبَ نَفْسي قَيِّمًا على الكُتّابِ، كَما أَنَّني لَسْتُ مَنْ يَضَعُ لِلْكِتابَةِ شُروطَها – إِذا كانَ لِلْكِتابَةِ شُروطٌ – فَما أَنا إلّا واحِدٌ مِنَ الَّذينَ ابْتُلُوا بِحِرْفَةِ الأَدَبِ كَما جاءَ على لِسانِ شَيخِنا أَبي عُثْمانَ الجاحِظِ. كَما أَنَّهُ لَيسَ مِنْ حَقِّ أَيِّ كاتِبٍ أَنْ يُجيزَ لِنَفْسِهِ ما أَمْنَعُهُ أَنا عنْ نَفْسي، فَكُلُّنا نَكْتُبُ، وكُلُّنا نُصيبُ حينًا ونُخْطِئُ حينًا، فَقَدْ خُلِقْنا مِنْ طينَةٍ واحِدَةٍ، مَعَ فارِقٍ بَسيطٍ هو أَنَّ لِكُلِّ واحِدٍ مِنَّا اجْتِهادُهُ بِتَعامُلِهِ مَعَ لُغَةٍ كَالفَرَسِ الشَّموسِ لا تَنْقادُ طَوعًا لِأَحَدٍ؛ كائِنًا مَنْ كانَ... قِيلَ لِعَبْدِ المَلِكِ بن مَروان (646-705 م): أَسْرَعَ إِلَيكَ الشَّيبُ! قالَ: شَيَّبَني صُعودُ المَنابِرِ والخَوفُ مِنَ اللَّحَنِ!

إِنَّهُ لَمِنَ السَّذاجَةِ أَنْ يُفْهَمَ قولي على أَنَّهُ تَبْريرٌ لِأَخْطاءِ كُتّابٍ لا يُجيدونَ اللّغَةَ صَرْفًا ونَحْوًا؟ ولكِنْ لِلتَّذْكيرِ بِأَنَّ لُغَتَنا العَرَبِيَّةَ لَيسَتْ بِاللُّغَةِ السَّهْلَةِ؛ وهي كَالعَجينَةِ إِنْ تُرِكَتْ بِدونِ تَحْريكٍ يَبِسَتْ.

قَدْ يَغْفِرُ القارِئُ المُتَمَرِّسُ لِكاتِبٍ أَخْطَأَ في إِعرابِ أَو في

رَسْمِ كَلِمَةٍ تَحْمِلُ إِشْكالًا لُغَوِيًّا؛ أَمّا أَنْ يُخْطِئَ في عَمَلِ النَّواسِخْ أَي (كانَ وأَخَواتُها وإِنَّ وأَخَواتُها) أَو في كَسْرِ هَمْزَةِ (إِنَّ) مَثَلًا، والأَمْثِلَةُ أَكْثَرُ من كَثيرةٍ، فَلَنْ يَغْفِرَ لَهُ، ومِنْ حَقِّهِ أَنْ يَقْرَأَ لُغَةً سَليمَةً أَوَّلًا، بَعْدَ ذلِكَ تَأْتي المُتْعَةُ إِنْ كانَ النَّصُّ شائِقًا. سَلامَةُ اللُّغَةِ المَطْبوعَةِ مَطْلوبَةٌ لِما لَها من مِصْداقِيَّةٍ عِنْدَ القارِئِ.

فَإِذا تَوَفَّرَتِ الرَّغْبَةُ المَدْعومَةُ بِالمَوهِبَةِ عِنْدَ أَحَدِهِم وأَحَبَّ أَنْ يُمارِسَ الكِتابَةَ، فَلِمَ لا يَجْتَهِدُ بِأَنْ يُجيدَ لُغَتَهُ، فَيُتْقِنَ صَنْعَتَهُ، ويَكونَ في غِنَىً عَنِ المُصَحِّحِ اللُّغَوِيِّ الَّذي أَصْبَحَ عَمَلُهُ رائِجًا في أَيّامِنا؟!

(البقيعة / الجليل) 9/1/2016

الالْتِزامُ..

جاءَ في لِسانِ العَرَبِ لابْنِ مَنْظور: الالْتِزامُ تَعْني الاعْتِناقَ.. والْتَزَمَ الشَّيءَ – لا يُفارِقُهُ. ومِن هُنا جاءَ مَفْهومُ الالْتِزامِ في الأَدَبِ، أَو هذا ما أَعْتَقِدُهُ. فَإذا تَناوَلَ شاعِرٌ ما، أَو كاتِبٌ ما، مَوضوعًا ما وداوَمَ عَلَيهَ، فَهُوَ – أَرادَ أَمْ لَم يُرِدْ – يَكونُ في نَظَرِ النُّقّادِ ومُحِبّي الأَدَبِ مُلْتَزِمًا بِذاكَ المَوضوعِ لِإيمانِهِ بهِ. فَالشّاعِرُ السّوري العربِيُّ المُجَلِّي نِزار قَبّاني (1923 م – 1998 م) في نَظَرِ الكَثيرينَ شاعِرٌ مُلْتَزِمٌ لِجَعْلِهِ مِنَ المَرْأَةِ العَرَبِيَّةِ قَضِيَّةً، لا بَلْ هُناكَ مَنْ وَصَفَهُ بِشاعِرِ الحُبِّ والمَرْأَةِ بِالرَّغْمِ مِمّا قَدَّمَهُ مِن شِعْرٍ سِياسِيٍّ.. والأَديبُ الرّوسِيُّ مَكْسيم غوركي (1868 م- 1936م) كاتِبٌ مُلْتَزِمٌ لِأَنَّ القَضايا الفِكْرِيَّةَ والاجْتِماعِيَّةَ والثَّورَةَ الاشْتِراكِيَّةَ طَغَتْ على أَعْمالِهِ.. والشّاعِرُ الكاتِبُ البَريطاني رِدْيارد كِبْلِنْغ (1863م – 1936م) والمَولودُ في مَدينَةِ بومباي / الهِنْد، فَقَدْ جاهَرَ، وبِلا حَرَجٍ، بِآرائِهِ السِّياسِيَّةِ الاسْتِعْمارِيَّةِ! فَهو كاتِبٌ مُلْتَزِمٌ أَيضًا.

يُخْطِئُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الالْتِزامَ صِفَةٌ مُلازِمَةٌ لِأُدَباءِ المَدْرَسَةِ الواقِعِيَّةِ الاشْتِراكِيَّةِ، لِأَنَّ الالْتِزامَ لا عَلاقَةَ لَهُ بِالمَدارِسِ الأَدَبِيَّةِ، على تَعَدُّدِ أَشْكالِها، فَكُلُّ واحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ المَدارِسِ تَجْمَعُ أَصْحابَ الأُسْلوبِ والشَّكْلِ والمَضْمونِ الواحِدِ في أَعْمالِهِم كَنَهْجٍ أَدَبِيٍّ يَكُونُ عَلامَةً فارِقَةً تُمَيِّزُهُمْ عَنْ غَيرِهِمْ؛ وَلِذا فَلا أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ تَناقُضًا بَينَ أَنْ يَكونَ الأَديبُ، أَيًّا كانَ، مُنْتَمِيًا إِلى أَيِّ مَدْرَسَةٍ أَدَبِيَّةٍ كانَتْ، ويَكونَ في ذاتِ الوَقْتِ مُلْتَزِمًا. لا بَلِ الالْتِزامُ يُساعِدُهُ في بِناءِ مَشْروعِهِ الأَدَبِيِّ.

على كُلٍّ مَهْما تَنَوَّعَتِ المَدارِسُ، ومَهْما تَقارَبَتِ الآراءُ أَو تَباعَدَتْ فَسَيَظَلُّ النّاسُ يَنْتَظِرونَ ما يَنْفَعُهم، وسَيَظَلُّ القُرّاءُ يَنْتَظِرونَ أَدَبًا هادِفًا راقِيًا..

(البقيعة / الجليل) 13/1/2016

عَنِ الفَنِّ..

ما أَكْثَرَ ما تَعَدَّدَتِ الذّائِقَةُ البَشَرِيَّةُ وتَنَوَّعَتْ واخْتَلَفَتْ، إلّا أَنَّها تَتَّفِقُ على أَنَّ الموسيقى والرَّسْمَ والنَّحْتَ والتَّمْثيلَ والشِّعْرَ أَرْقى ما وَصَلَ اليهِ العَقْلُ البَشَرِيُّ مِنْ إنْجازٍ كانَ وسَيَبْقى – بِاسْتِثْناءِ الشِّعْرِ – اللُّغَةَ الجامِعَةَ لِجَميعِ أَبْناءِ جَدَّينا، آدَمَ وحَوَّاءَ في لُغَةٍ واحِدَةٍ هي لُغَةُ الإحْساسِ المُرْهَفِ، والعَقْلِ المُسْتَنيرِ.. فَالدُّفُّ مَثَلًا، وَهْوَ أَقْدَمُ آلَةٍ موسيقِيَّةٍ عَرَفَها الإنْسانُ مُنْذُ خَمْسَةِ آلافِ سَنَةٍ؛ ما زالَ المُحَرِّكَ الأَوَّلَ لِشُعورِنا، والضّابِطَ الأَهَمَّ لِموسيقانا.. وفي النَّحْتِ والرَّسْمِ مَنْ مِنّا لا يَقِفُ أَمامَ.. أَو يَرى رَسْمَ تِمْثالِ إلهَةِ الحُبِّ والجَمالِ ڤينوس عِنْدَ الرّومانِ (وهي أَفروديت عِنْدَ اليونانِيّينَ) ولا يَصْرُخُ: يا لَلْجَمالِ! يا لَلرَّوعَةِ!

وكَذلكَ في الرَّسْمِ، وأَشْهَرُ مِثالٍ على ذلِكَ لَوحَةُ الموناليزَا (الجوكوْندا) لِلْإيطالي المَوسوعي لِيوناردو دافينتشي (1452م – 1519م).. والأَمْثِلَةُ كَثيرَةٌ.

أَمّا الموسيقى، وقَدْ تَكونُ أَرْقى أَنْواعِ الفُنونِ – وهذا رَأْيٌ شَخْصِيٌّ – فهي لُغَةُ شُعوبِ العالَمِ بِلا مُنازِعٍ؛

فَإذا سَمِعْناها دَخَلَتْ قُلوبَنا، فَنَطْرَبُ، وَقَدْ نَرْقُصُ، وقَدْ تُضْحِكُنا، وقد تُبْكينا!.... جاءَ في كِتابِ (سَنابِلُ من حُقولِ الأَدَبِ) لِجامِعِهِ ابنِ كفر ياسيف الأُسْتاذِ المَرْحومِ سامي مِزيغيت، عَن كِتابِ (أَخْلاقِ العُلَماءِ): لَمّا وَرَدَ الفَيلسوفُ أَبو نَصْرٍ الفارابي (874م -950م) المُلَقَّبُ بِ (المُعَلِّمُ الثّاني) على سَيفِ الدَّولَةِ، وكانَ مَجْلِسُهُ مَجْمَعَ الفُضَلاءِ في جَميعِ المَعارِفِ أَي العُلومِ، ودارَ بَينَهُما حِوارٌ شائِقٌ أَنْقُلُ ما لَهُ عَلاقَةٌ بِنَصِّنا.... قالَ سَيفُ الدَّولَةِ: هل لَكَ في أَنْ تَأْكُلَ؟ فَقالَ: لا! قالَ: فَهَلْ تَشْرَبُ؟ فَقالَ: لا! فَقالَ: فَهَلْ تَسْمَعُ؟ فَقالَ: نَعَم. فَأَمَرَ سَيفُ الدَّولَةِ بِإِحْضارِ القِيانِ، فَحَضَرَ كُلُّ ماهِرٍ في هذِهِ الصِّناعَةِ، فَلَمْ يُحَرِّكْ أَحَدٌ مِنْهُمْ آلَتَهُ إِلّا عابَهُ. فَقالَ سَيفُ الدَّولَة: وهَلْ تُحْسِنُ في هذِهِ الصَّنْعَةِ شَيئًا؟ فَقالَ نَعَمْ. ثُمَّ أَخْرَجَ من وَسَطِهِ خَريطَةً فَفَتَحَها، وأَخْرَجَ مِنْها عيدانًا ورَكَّبَها، ثُمَّ لَعِبَ بِها، فَضَحِكَ كُلُّ مَنْ كانَ في المَجْلِسِ. ثُمَّ فَكَّها ورَكَّبَها تَرْكيبًا آخَرَ وضَرَبَ بِها، فَبَكى كُلُّ مَنْ كانَ في المَجْلِسِ. ثُمَّ فَكَّها وغَيَّرَ تَرْكيبَها وضَرَبَ بِها ضَرْبًا آخَرَ، فَنامَ كُلُّ مَنْ كانَ في المَجْلِسِ حَتّى البَوّابُ، فَتَرَكَهُمْ وَخَرَجَ.

أَمّا عَنِ المَسْرَحِ فَيَكْفيهِ قيمَةً وَفَخْرًا ما قالَ عَنْهُ المُخْرِجُ والمُمَثِّلُ الرّوسِيُّ الشَّهيرُ قُسْطَنْطين سْتانِيسْلافْسكي (1863م – 1938م): أَعْطِني مَسْرَحًا أَعْطِكَ شَعْبًا مُثَقَّفًا.

(البُقَيعَة / الجَليل) 20/1/2016

عَنِ المَدارِسِ الأَدَبِيَّةِ..

لَيسَ التَّعَرُّفُ عَلى المَدارِسِ الأَدَبِيَّةِ بِالأَمْرِ الصَّعْبِ، فالدِّراساتُ النَّقْدِيَّةُ تَمْلأُ المَكْتباتِ ومَوسوعَةُ ويكيبيديا لا تَبْخَلُ على طالِبِ عِلْمٍ. ولكِنْ، حُبًّا بِالقارِئِ الكَريمِ واحْتِرامًا لَهُ، لا أَرى غَضاضَةً إنْ مَرَرْنا بِهذِهِ المَدارِسِ، وأَلْقَينا عَلَيها نَظْرَةً سَريعَةً لِلتَّذْكيرِ أَو لِلتَّأْكيدِ؛ فَالكلاسيكِيَّةُ هي الَّتي حافَظَتْ على تَقاليدِ الكِتابَةِ القَديمَةِ.. والرُّومانْسِيَّةُ هي الفَرْدِيَّةُ والاتِّجاهُ إِلى الطَّبيعَةِ.. والواقِعِيَّةُ هي الّتي تَهْتَمُّ بِفِئاتِ وطَبَقاتِ النّاسِ، وكَثيرًا ما تَناوَلَتِ المُجْتَمَعَ بِنَظْرَةٍ تَشاؤُمِيَّةٍ.. ومِنْها خَرَجَتِ الواقِعِيَّةُ الاشْتِراكِيَّةُ الَّتي تَناوَلَتْ قَضايا المُجْتَمَعِ بِنَظْرَةٍ تَفاؤُلِيَّةٍ، وتَبَنَّتِ الكِفاحَ ضِدَّ الرَّأْسِمالِيَّةِ.. والرَّمْزِيَّةُ وتَمْتازُ بِالغُموضِ والإِيحاءِ.. والبِرْناسِيَّةُ وهي مَذْهَبُ الفَنِّ لِلْفَنِّ؛ ويُؤْمِنُ المُنْتَمونَ إِليها بِأَنَّ الفَنَّ غايَةٌ في ذاتِهِ، وقَدْ جاءَ اسْمُها مِن جَبَلِ البِرْناسِ / اليونان حَيثُ كانَتْ تَعيشُ إِلَهَةُ الشِّعْرِ بِاعْتِقادِ اليونانِيّينَ القُدَماءِ.. والسِّيرْيالِيَّةُ أَو ال (فَوق الواقِعِيَّة) وهْيَ مَذْهَبٌ فَرَنْسَيٌّ حَديثٌ في الفَنِّ والأَدَبِ، يَهْدِفُ إِلى التَّعْبيرِ عَنِ

العَقْلِ الباطِنِ بِصورَةٍ يَنْقُصُها النِّظامُ والمَنْطِقُ.. والدّادِيَّةُ وهي حَرَكَةٌ ثَقافِيَّةٌ انْطَلَقَتْ من زيوريخ (سويسرا) أَثْناءَ الحَربِ العالَمِيّةِ الأُولى، كَنَوعٍ مِنْ مُعاداةِ الحَرْبِ، بَعيدًا عَنِ المَجالِ السِّياسي، وإِنَّما من خِلالِ مُحارَبَةِ الفَنِّ السّائِدِ.

وإِنْ لَمْ أُحِطِ القارِئَ عِلْمًا بِكُلِّ المَدارِسِ الأَدَبِيَّةِ، فَهذِهِ أَهَمُّها، وأَراني أَفْعَلُ ذلكَ لِما فيهِ مِنْ نَفْعٍ يَصُبُّ في مَخْزونِهِ المَعْرِفِيِّ؛ وقَدْ يُسَهِّلُ عَلَيهِ - رُبَّما – فَهْمَ الأَدَبِ بِالصّورَةِ الأَفْضَلِ، ويَعْرِفُ أَنَّ الأُدَباءَ، كُتّابًا وشُعَراءَ، لا يَعومونَ في بِحارٍ بِلا مَوانِئَ يَعودونَ إِلَيها كُلَّما عَصَفَتْ بِهِم أَرْياحُ التّيهِ.

يُخْطِئُ مَنْ يَقَعُ في عُقْمِ المُفاضَلَةِ بَينَ مَدْرَسَةٍ وأُخْرى، فَالمَدْارَسُ الأَدَبِيَّةُ أَشْجارٌ مُثْمِرَةٌ في بُسْتانٍ، ولِكُلِّ ثَمَرَةٍ طَعْمُها ورائِحَتُها، ولا نِقاشَ في طَعْمٍ أَو في رائِحةٍ!

(البقيعة / الجليل) 27/1/2016

الفَنُّ الهادِفُ..

مِنْ بَدَهِيَّاتِ تَعْريفِ الفَنِّ عامَّةً، أَنَّهُ تَعْبيرٌ عنِ الشُّعورِ الإِنْسانِيِّ عَنْ طَريقِ أَحَدِ الفُنونِ المَعْروفَةِ؛ فَإذا رَسَمَ الرَّسامُ لَوحَةً وعَرَضَها على زائِري مَعْرِضِهِ، فَكَأَنَّهُ يُخاطِبُهُمْ بِإِحْساسِهِ لا بِلِسانِهِ.. وكَذا يُقالُ إذا أَنْجَزَ النَّحّاتُ نَحيتَهُ، والشّاعِرُ قَصيدَتَهُ، والقاصُّ قِصَّتَهُ، والموسيقِيُّ لَحْنَهُ.

ولَمَّا لَمْ يَكُنِ الفَنّانُ بِمَعْزِلٍ عَمّا يَدورُ حَولَهُ مِنْ حَراكٍ اجْتِماعِيٍّ، وفَرْزٍ طَبَقيٍّ وَجَدَ نَفْسَهُ – بِوَعْيٍ أَو بِلا وَعْيٍ – مُنْحازًا إِلى مَذْهَبٍ فِكْرِيٍّ، مُسْتَعينًا (لا مُسَخِّرًا كما يَقولُ البَعْضُ) بِفَنِّهِ لِلتَّعْبيرِ عَنْ مُنْتَماهُ الطَّبَقِيِّ.. هذا التَّعْبيرُ عُرِفَ أَو عُرِّفَ بِالأَدَبِ الهادِفِ.. الهادِفِ بِمَعْنى أَنَّهُ يَهْدِفُ إِلى إيصالِ فِكْرَةٍ ما لِأَوسَعِ شَريحَةٍ اجتِماعِيَّةٍ هُوَ ضَميرُها، ودَورُهُ الأَساسُ أَنْ يَفْضَحَ القُبْحَ وأَسْبَابَهُ ومُسَبِّبيهِ بِقَلَمِهِ، أَو بِريشَتِهِ، أَو بِإِزْميلِهِ.

فالفَنّانونَ الَّذينَ أَنْكَرُوا ذَلكَ وتَمَسَّكُوا بِنَظَرِيَّةِ (الفَنُّ لِلْفَنِّ) حَصَروا أَنْفُسَهُم وفَنَّهُمْ في الدّائِرَةِ الأَضْيَقِ لِلْحَياةِ،

مُعارِضينَ التَّجْديدَ حَتّى لَو كانَ رافِعَةً لِلْفَنِّ تَحْمِلُهُ الى آمادِهِ القُصْوى. لِلْمَوقِفِ المُعارِضِ هذا باتَ وكَأَنَّ الفَنَّ الهادِفَ مَقْصورٌ على الفِكْرِ الماركسيِّ.. وهُنا، مِنْ حَقِّنا أَنْ نَتَساءَلَ: هل َحِذاءُ الرَّسّامِ الهولَنْدِيِّ الشَّهيرِ ڤان غوخ (1853م- 1890م) مَثَلًا، تَخَلَّدَ في عالَمِ الفَنِّ لِأَنَّهُ ماركسِيٌّ!؟ أَمْ لِأَنَّ الحَياةَ لَدَغَتْهُ بِقَسْوَتِها في مُجْتَمَعٍ بُرجُوازِيٍّ، أَغْنى الغَنِيَّ، وأَفْقَرَ الفَقيرَ خُصوصًا عُمّالَ المَناجَمِ آنَذاكَ!؟ حتّى إنَّ الفَيلَسوفَ الأَلْمانيَّ مارتن هايدغر (1889م – 1976م) اسْتَلْهَمَ نَصًّا فَلْسَفِيًّا مِنْ حِذاءِ ڤان غوخ، هو أَقْرَبُ الى الشِّعْرِ مِنْهُ الى الفَلْسَفَةِ إِذْ قالَ: مِنْ خِلالِ الفُتْحَةِ المُظْلِمَةِ لِلْحِذاءِ البالي تَبْدَأُ خُطى العامِلِ المُتْعَبَةُ.. مِنَ الثِّقَلِ الوَعِرِ لِزَوجِ الأَحْذِيَةِ هُناكَ تَراكُمٌ في الجُرْأَةِ!

(البقيعة / الجليل) 3/2/2016

الحَداثَةُ..

لَيسَتِ الحَداثَةُ بِالمَوضوعِ العَرَضِيِّ، ولا هيَ المَوضوعُ الأَهَمُّ في الأَدَبِ عامَّةً، وفي الشِّعْرِ خاصَّةً مَعَ اعتِذاري الشَّديدِ إِلى مَنْ لا يَتَّفِقُ مَعي مِنْ أَصْدِقائِي الأُدَباءِ. وما مِنْ مَرَّةٍ سَمِعْتُ فيها نِقاشًا يَدورُ حَولَ الحَداثَةِ بَينَ اثْنَينِ أَو أَكْثَرَ إِلّا وتَحَوَّلَ إِلى جَدَلٍ عَقيمٍ؛ يُؤَكِّدُ لي مِنْ جَديدٍ أَنَّ الحَداثَةَ لا تَزالُ بِضاعَةً مُسْتَورَدَةً، يُحاوِلُ بَعْضُ المُهْتَمِّينَ بِالْأَدَبِ تَسْويقَها في غَيرِ أَوانِها.

يُخْطِئُ مَنْ يَعْتَبِرُ الحَداثَةَ أَمْرًا مَفصولًا عَنِ الحَياةِ ذاتِها، تَمامًا كَالعُضْوِ مِنَ الجَسَدِ إِذا فُصِلَ عَنْهُ يَسْقُطُ مَيِّتًا.. كَيفَ يُمْكِنُ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنِ الحَداثَةِ في مَشْهَدِنا الثَّقافِيِّ الرّاهِنِ؛ ولا نَعْمَلُ على تَحْديثِ نَمَطِ أَو أَنْماطِ حَياتِنا!؟ كَيفَ يُمْكِنُ أَنْ نَكْتُبَ أَدَبًا حَداثِيًّا ونَحْنُ نَعيشُ حَياةً قَبَلِيَّةً/ عائِلِيَّةً، نَجْلِدُ المَرْأَةَ، ونَقْهَرُ الطِّفْلَ، ونَعْتَمِدُ الأَبْراجَ، وقِراءَةَ الفِنْجانِ في نَجاحاتِنا وفي إِخْفاقاتِنا!؟ إِنَّهُ لَمِنَ السَّذاجَةِ مِنَّا أَنْ نَرْكَبَ عَرَباتٍ تَجْري بِنا إِلى الخَلْفِ، ونَتَحَدَّثُ كَالَّذينَ يَرْكَبونَ عَرَباتٍ تَجْري بِهِمْ إِلى الأَمامِ!؟

وَبِأَيِّ حَقٍّ نَتَحَدَّثُ عَنِ الحَداثَةِ وما زالَ مَنْسوبُ الأُمِّيَّةِ في ارْتِفاعٍ، ويُسَجِّلُ أَرْقامًا تُحْبِطُ العامِلينَ على مَحْوِها!؟ لَنْ أَكونَ ثَقيلًا، إنْ قُلْتُ: دَعُوا الثَّمَرَةَ الفِجَّةَ تَنْضَجُ على مَهَلٍ كَي يَحِلَّ قَطافُها، ويَحْلو مَذاقُها.

أَمّا التَّحْديثُ في القَصيدَةِ بُنْيَويًّا، فَقَد جاءَ في وَقْتٍ كانَتِ القَصيدَةُ العَرَبِيَّةُ فيهِ بِحاجَةٍ إِلى دَفَقاتِ دَمٍ جَديدٍ يُعيدُ إِلَيها بَعْضًا مِنْ شَبابِها؛ تَمامًا كَوَرْدَةٍ جورِيَّةٍ أَخَذَ اليَباسُ في بَعْضِ غُصونِها نَصيبًا مِنْ جَمالِها، فَجاءَ مِقَصُّ مُنَسِّقِ الأَزْهارِ المُتَمَكِّنِ مِنْ صَنْعَتِهِ، فَكانَ أَمْرًا مَشْروعًا..

(البُقَيعة / الجَليل) 14/2/2016

الشِّعْرُ..

لَنْ أَدْخُلَ في تَعريفِ الشِّعْرِ لِما في التَّعْريفاتِ مِنْ جَفافٍ وجَفْوَةٍ قدْ تُدْخِلانِ القارِئَ في مَتاهَةٍ يَحارُ فيها أَينَ يَجِدُ الشِّعْرَ.. ولا غَضاضَةَ إِنْ عُدْنا إِلى لِسانِ العَرَبِ لابْنِ مَنْظور (مُحَمَّد بن مُكَرَّم 1232م – 1311م) لِاخْتِلافِهِ عَنْ تَعْريفاتٍ مُتَعارَفٍ عَلَيها. يَقولُ: الشِّعْرُ مَنْظومُ القَولِ، غَلَبَ عَلَيهِ لِشَرَفِهِ بِالوَزْنِ والقافِيَةِ؛ وإِنْ كانَ كُلُّ عِلْمٍ شِعْرًا... ثُمَّ يَسْتَشْهِدُ بِتَعْريفِ عالِمِ اللُّغَةِ الأَزْهَرِيِّ (أَبو مَنْصور مُحَمَّد 895م – 980م) الَّذي قالَ: الشِّعْرُ القَريضُ المَحْدودُ بِعَلاماتٍ لا يَتَجاوَزُها، والجَمْعُ أَشْعارٌ، وقائِلُهُ شاعِرٌ لِأَنَّهُ يَشْعُرُ ما لَمْ يَشْعُرْ بِهِ غَيرُهُ أَي يَعْلَم..

إِذًا، الشِّعْرُ، بِهذا المِنْظارِ، لَيسَ كَما عَرَّفَهُ البَعْضُ بِأَنَّهُ مِنَ الشُّعورِ الَّذي بِمَعْنى الإِحْساسِ فَقَطْ، بَلْ إِنَّهُ العِلْمُ بِالْأَشْياءِ؛ ولَنْ يَكونَ هذا إِنْ لَمْ نُفَعِّلِ العَقْلَ ونُعَبِّئِ الحافِظَةَ بِالعُلومِ – بَلْهَ الآدابَ – على مُخْتَلَفِ ضُروبِها، بِقَديمِها وحَديثِها. وهُنا أَتَجَرَّأُ فَأَقولُ بِأَنَّ الإِحْساسَ والانْفِعالَ بِما تَراهُ العَينُ، وبِما تَسْمَعُهُ الأُذُنُ لا يَكْفِيانِ لِإِبْداعِ قَصيدَةٍ

مُلْفِتَةٍ لِنَظَرِ القارِئِ، أَو السّامِعِ، ناقِدًا كانَ أَم قارِئًا عادِيًّا.. ولَيسَ مِنْ قَبيلِ المُصادَفَةِ أَنَّ الباحِثينَ في الشِّعْرِ قَدْ قَسَّموا الشُّعَراءَ إِلى طَبَقاتٍ لِأَنَّ التَّفاوُتَ بَينَ قَصيدَةٍ وأُخْرى، هو تَفاوُتٌ بَينَ شاعِرٍ وآخرَ بِما يَعْرِفانِ، وكُلَّما كانَتِ المَعْرِفَةُ أَوسَعَ وأَشْمَلَ كانِ الشِّعْرُ أَعْذَبَ وأَعْمَقَ.

وإِنْ كانَ القُدَماءُ قَدْ وزَّعُوا الشُّعَراءَ إِلى طَبَقاتٍ، فَأَنْصَفُوا البَعْضَ وتَجَنَّوا على البَعْضِ الآخَرِ - كَشُعَراءِ القَصيدَةِ الواحِدَةِ أَو الشُّعَراءِ الصَّعاليكِ مَثَلًا - فَلَيسَ مِنْ حَقِّ أَحَدٍ اليَومَ أَنْ يَفْعَلَ ما فَعَلَهُ القُدَماءُ، لكنْ من حَقِّ كُلِّ شاعِرٍ أَنْ يُغَنِّي على هَواهُ، وأَمّا التَّصْنيفُ فَمِنْ حَقِّ القارِئِ أَوَّلًا ومِن حَقِّ الأيّامِ أَوَّلًا وآخِرًا.

(البُقَيعَة / الجليل) 17/2/2016

قَصيدَةُ العَمود..

رَحِمَ اللَّهُ الشَّاعِرَ الشَّابَّ العَصِيَّ على الهَرَمِ والمَوتِ طَرَفَةَ بن العَبْدِ (حوالي 538م – 564م) يَومَ قالَ: «..... وأُفْرِدْتُ إِفْرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ « والبَعيرُ المُعَبَّدُ هو الجَمَلُ المَطْلِيُّ بِالقَطْرانِ لِجَرَبٍ فيه، فَيُبْعَدُ عَنِ باقي الجِمالِ اتِّقاءَ العَدْوى.. فَهَلْ هذا هو حالُ القَصيدَةِ العَمودِيَّةِ اليَومَ؟! لِماذا هذا التَّنَكُّرُ لَها!؟ وَهَل شُعَراءُ المُعَلَّقاتِ الخالِدونَ ومَنْ تَلاهُم مِنْ شُعَراءٍ في كُلِّ عَصْرٍ مِنْ عُصورِ الأَدَبِ العَرَبيِّ، وهُم خالِدونَ بِأَشْعارِهِم أَيضا، قَدْ أَخْطَؤُوا حينَ أَورَثونا قَصيدَةً مَوزونَةً مُقَفّاةً كَتَبوها بِدِمائِهِم لا بِأَقلامِهِم.. كَتَبوها بِكُلِّ ما أُوتُوا مِنْ صِدْقٍ وفَنِّيَّةٍ فِطْرِيَّةٍ مُحَبَّبَةٍ؛ فَإِذا أَطْلَقَ الواحِدُ مِنْهُم قَصيدَةً، عَبَّرَ عَنْ حُزْنِهِ رِثاءً، وعَن غَضَبَهِ هِجاءً، وعَنْ حُبِّهِ نَسيبًا، وعَنِ اعْتِدادِهِ بِنَفْسِهِ فَخْرًا، إِلى غَيرِ ذلِكَ مِنْ ضُروبِ الشِّعْرِ المُتَعارَفِ عَليها.. فَالشّاعِرُ العَرَبِيُّ تَغَنّى بِما يَجيشُ في نَفْسِهَ من الأَحاسيسِ وتَقَلُّباتِها بِقَصيدَةٍ عُرِفَتْ أَو عُرِّفَتْ بِالقَصيدَةِ الغِنائِيَّةِ. هذِهِ القَصيدَةُ وَقَفَتْ جَنْبًا الى جَنْبٍ مَعَ الشِّعْرِ

المَلْحَمِيِّ، والشِّعْرِ المَسْرَحِيِّ؛ وشَكَّلَتْ هُوِيَّتَنا الأَدَبيَّةَ في صالونِ الأَدَبِ العالَمي، بِدَليلِ أنَّ المُسْتَشْرِقينَ الكِبارَ مازالوا يَرْجِعونَ إِلَيها في دِراساتِهم وفي أَبْحثِاهم عَنِ الإِنْسانِ العَرَبِيِّ تاريخًا وأَدَبًا ومُنْتَمَىً وحَضارَةً. أَنا أَتَحَدَّثُ هُنا عَنِ القَصيدِةِ القَصيدَةِ! ولَيسَ عَنْ كَلامٍ اسْتَقامَ فيهِ الوَزْنُ وتَزَيَّا بِالقافِيَةِ وظَلَّ بَعيدًا عَنْ رَوعَةِ الشِّعْرِ، ولَمْ يَزِدْ عَنْ كَونِهِ نَظْمًا!

شُكْرًا لِكُلِّ مُلَحِّنٍ عَرَفَ رَوعَةَ القَصيدَةِ الْعَمودِيَّةِ فَوَضَعَ لَها لَحْنًا يَليقُ بِها وبَحَثَ عَنْ صَوتٍ جَميلٍ زادَ اللَّحْنَ جَمالًا، وأَكْسَبَ الكَلِماتِ نَكْهَةً؛ وأَصْدَقُ مِثالٍ على ذلَكَ ما أَتْحَفَنا بِهِ أَحْمَد رامي ورياضُ السُّنْباطي وأُمُّ كُلْثوم.

(البقيعة / الجليل) 24/2/2016

قصيدَةُ التَّفْعيلَةِ..

لا أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا ما يَهْتَمُّ بِالشِّعْرِ ويُساوِرُهُ شَكٌّ في أَنَّ قَصيدَةَ التَّفْعيلَةِ أَو القَصيدةَ المُطَوَّرَةَ هي البِنْتُ الشَّرْعِيَّةُ لِقَصيدَةِ العَمودِ؛ تَمامًا كَالحَسْناءِ الَّتي خَرَجَتْ مِنْ رَحِمِ أُمِّها وشَبَّتْ فَتَزَيَّتْ بِأَزْياءِ عَصْرِها، إِلَّا أَنَّ الجيناتِ تَظَلُّ واحِدةً.

وحينَ فَكَّرَ مُهَنْدِسو قَصيدَةِ التَّفْعيلَةِ بِالخُروجِ بِها مِنْ دائِرَةِ القَصيدَةِ المَوزونَةِ المُقَفّاةِ إِلى الفَضاءِ الأَرْحَبِ، وَجَدُوا أَنَّهُ بِالإِمكانِ فِعْلُ ذَلكَ بُنْيَوِيًّا، وذلِكَ بِتَفْكيكِ بُحورِ الشِّعْرِ المُتَجانِسَةِ التَّفْعيلَةِ وبِناءِ قَصائِدِهم مُعْتَمِدينَ التَّفْعيلَةَ الواحِدَةَ في القَصيدَةِ الواحِدَةِ، دونَ أَنْ يَلْتَزِمُوا بِقافِيَةٍ واحِدَةٍ. وبِهذا فَقَدْ جَعَلُوا القَصيدَةَ العَرَبِيَّةَ قَصيدَةَ سَطْرٍ لا كَما كانَتْ قَصيدَةَ شَطْرٍ.

لَمْ تَأْتِ هَذهِ المُحاوَلَةُ النَّاجِحَةُ مِنْ فَراغٍ، فَقَدْ سَبَقَتْها مُحاوَلاتٌ أُخْرى لِشُعَراءٍ كَتَبُوا قَصائِدَهُمْ على بُحورِ الخَليلِ ولكِنْ جَعَلوا لِكُلِّ بَيتٍ شِعْرِيٍّ في القَصيدَةِ الواحِدةِ قافِيَةً تَخْتَلِفُ عَنْ أَخَواتِها في الأَبياتِ الأُخْرى، فَوُلِدَتْ

قَصائِدُهُم مَشْلولَةَ السّاقَينِ غَيرَ قادِرَةٍ على الوُقوفِ، إلى غَيرِ ذلكَ مِنْ مُحاوَلاتٍ لَمْ تَرُقْ لِلذّائِقَةِ العَرَبِيَّةِ. فَالتَّجْديدُ لا يَكونُ في القافِيَةِ فَقَطْ، أَو بِالابْتِعادِ عَنْ أُصولِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ وإِنَّما يكونُ في بِناءِ القَصائِدِ الَّذي يَقودُ الى التَّجْديدِ في مَضامينِها.. وهذا ما تَوَصَّلَ اليهِ رُوَّادُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ في خَمْيسنِيّاتِ القَرْنِ العِشْرين، وتَرَسَّخَتْ تَجْرِبَتُهم في السِّتّينِيَّاتِ وما بَعْدَها، وسُرْعانَ ما وَقَفَتْ قَصيدَةُ التَّفْعيلَةِ بِجانِبِ أُمِّها تُغالِبُها طولًا بِطولٍ وحُسْنًا بِحُسْنٍ.

بِرُسوخِ التَجْرِبَةِ الحَديثَةِ هذهِ لم يَقِفِ التَّجْديدُ عِنْدَ شَكْلِ القَصيدَةِ، بَلْ تَعَدّاهُ الى مَضْمونِها، خاصَّةً وأَنَّ الشّاعِرَ لَمْ يَعُدْ مُلْتَزِمًا بِصَدْرٍ أَو بِعَجُزٍ أَو بِقافِيَةٍ واحِدَةٍ، فَانْطَلَقَ كُلُّ شاعِرٍ في فَضاءٍ يَضيقُ أَو يَتَّسَعُ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ على التَّحْليقِ، وعلى مَدى فَهْمِهِ لِلحياةِ، لِأَنَّ القَصيدَةَ اليَومَ هي القَصيدَةُ الحَياةُ.. أَجَلْ هي القَصيدَةُ الحَياة.

(البقيعة / الجليل) 2/3/2016

قصيدَةُ النَّثْرِ!!

أَقْتَبِسُ مِنْ كِتابِ (رَسائِلُ السَّيّابِ 1926-1964م العراق) لِلْكاتِبِ العِراقِيِّ المَعْروفِ ماجِدِ السّامَرّائِيِّ الصّادِرِ عَنِ المُؤَسَّسَةِ العَرَبِيَّةِ لِلدِّراساتِ والنَّشْرِ – طَبْعَةٌ أولى 1975، وطَبْعَةٌ ثانِيَةٌ مُنَقَّحَةٌ ومَزيدَةٌ.. بَيروت 1994)

كَتَبَ في رِسالَةٍ إِلى (يوسف الخال1917 – 1987م لبنان) ص 130 «.... هَلْ قَرَأْتَ ما كَتَبَهُ ت. س. إليوت عَنِ المَوهِبَةِ الفَرْدِيَّةِ والتُّراثِ وعَلاقَتِهما بِالشِّعْر؟ يَجِبُ أَنْ يَبْقى خَيطٌ يربِطُ القَديمَ بِالجَديدِ، يَجِبُ أَنْ تَبْقى بَعْضُ مَلامِحِ القَديمِ في الشَّيءِ الّذي نُسَمّيهِ جَديدًا.»

وكَتَبَ في رِسالَةٍ إِلى أَدونيس ص 135 «... وإِذا شاعَتْ كِتابَةُ الشِّعْرِ دونَ التَّقَيُّدِ بِالوَزْنِ، فَلَسَوفَ تَقْرَأُ وتَسْمَعُ مِئاتِ القَصائِدِ الَّتي تُحيلُ رَأْسَ المالِ، والاقْتِصادَ السِّياسِيَّ وسِواها مِنَ الكُتُبِ والمَقالاتِ الافْتِتاحِيَّةِ لِلْجَرائِدِ إِلى شِعْرٍ، وهو لَعَمْري خَطَرٌ جَسيمٌ». ويُتابِعُ في نَفْسِ الصَّفْحَةِ «... كانَتْ قَصيدَتُكَ رائِعةً بِما احْتَوَتْهُ مِنْ صُوَرٍ

لا أَكْثَر. ولكِنْ: هَلْ غايَةُ الشّاعِرِ أَنْ يُرِي قُرَّاءَهُ أَنَّهُ قادِرٌ على الإِتْيانِ بِمِئاتٍ مِنَ الصُّوَرِ؟»

أَمّا في رِسالَتِهِ إِلى (تَوفيق صايغ 1923-1971م فِلَسْطيني، وُلِدَ في جَنوب سوريا) ص 218 كَتَبَ «..... مُصيبَةُ العِراقِ أَنَّ أَكْثَرَ أُدَبائِهِ شُعَراء. كُتّابُ القِصَّةِ والرِّوايَةِ والمَقالَةِ إِلَخ.. قَليلونَ جِدًّا».

كُنْتُ أَتَمَنّى على نَفْسي أَنْ أَخْتِمَ هَذِهِ الاقْتِباساتِ بِـ (لا تَعْليق!!)، ولكِنِّي أَوَدُّ أَنْ أُؤَكِّدَ على أَنَّ اقْتِباساتي لِلسَّيّابِ لَيسَتْ مِنْ بابِ المَحَبَّةِ.. فَبِقَدْرِ تَقْديري لِدَورِهِ، وحُبِّي لِشِعْرِهِ لَمْ يَكُنْ قَريبًا إِلى قَلْبي، وهو المُتَجَنّي عَلَينا نَحْنُ الشُّيوعِيّينَ! ولكِنْ لِاعْتِبارِهِ أَحَدَ أَقْطابِ المُجَدِّدينَ في بُنْيَةِ القَصيدَةِ العَرَبِيَّةِ، وفي عَصْرَنَتِها، إِنْ صَحَّ القولُ.. فَحَذارِ أَنْ يَأْخُذَنا اسْتِسْهالُ الشِّعْرِ إِلى مَتاهاتِ المَجْهولِ!

(البقيعة /الجليل) 9/3/2016

النَّقْدُ..

جاءَ في لِسانِ العَرَبِ لابْنِ مَنْظور (محمّد بن مُكَرَّم 1232 _ 1311م)،قالَ: النَّقْدُ والتَّنْقادُ تَمْييزُ الدَّراهِمِ وإِخْراجُ الزَّيْفِ مِنْها.. وقالَ: نَقَدْتُ فُلانًا إذا ناقَشْتُهُ في الأَمْرِ. مِنْ هُنا – وهذا ما أَعْتَقِدُهُ – جاءَ المَدْلولُ الحَديثُ لِلْكَلِمَةِ لِتُصْبِحَ دالَّةً على أَحَدِ فُروعِ الكِتابَةِ الأَدَبِيَّةِ الهامَّةِ أَيْ النَّقْدِ. فالنَّقْدُ الأَدَبِيُّ إِذًا، هو نِقاشُ النّاقِدِ لِلْمَنْقودِ في قِصَّتِهِ أَو في قَصيدَتِهِ أَو رِوايَتِهِ، مُبْرِزًا عُيوبَها أَو مُشيدًا بِإِشْراقاتِها الابْداعِيَّةِ بِمَوضوعِيَّةٍ وبِلا تَجْريحٍ أَو مُحاباةٍ. والأَديبُ الجادُّ ذو الأَصالَةِ الأَدَبِيَّةِ يَقْبَلُ الأَمْرَينِ عَنْ طيبِ خاطِرٍ؛ مُسْتَعينًا بِما يَنْفَعُهُ مِنْهُما في تَطْويرِ عَمَلِهِ الأَدَبِيِّ؛ وسُرْعانَ ما يَحوزُ ثِقَةَ القارِئِ الكَريمِ وإِعْجابَهُ ورِضاهُ، وهذا أَقْصى ما يَتَمَنّاهُ أَديبٌ لِنَفْسِهِ.

والمَدارِسُ النَّقْدِيَّةُ على تَعَدُّدِها مِنْ ذَوقِيَّةٍ إِلى بُنْيَوِيَّةٍ إِلى أَكاديمِيَّةٍ... لَيسَتْ ما يَهُمُّنا الآنَ بِقَدْرِ ما نَبْغيهِ مِنْ قِراءَةِ النَّقْدِ الَّذي يُحَرِّكُ فينا الرَّغْبَةَ في القِراءَةِ، ويَرْفَعُ مِنْ ذائِقَتِنا النَّقْدِيَّةِ ويوصِلُنا إِلى المُتْعَةِ وإِلى الفائِدَةِ المَرْجُوَّةِ

في آنٍ.

قَدْ نَجِدُ الكَثيرَ مِنَ الدِّراساتِ النَّقْدِيَّةِ المُنْغَلِقَةِ على ذاتِها، يَنْتَفِعُ بِها دارِسو اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في المَعاهِدِ العُلْيا أَكْثَرَ مِنْ غَيرِهِمْ؛ ولا نَعْني بِهذا أَنَّنا نُطالِبُ بِتَبسيطِ النَّقْدِ بَلْ نُريدُهُ مادَّةً شائِقَةً لَدى القارِئِ العادِيِّ.. نُريدُهُ أَنْ يَكونَ إِبْداعًا على إِبْداعٍ.. نُريدُ مادَّةً نَقْدِيَّةً تَأْخُذُ مِنَ المَدارِسِ النَّقْدِيَّةِ ما يُغْنيها، فَلا تَخْسَرُ قارِئًا لِغَلاظَتِها، ولا تَتَجَنَّى على صاحِبِها بِتَرْكِ ما اعتادَهُ في كِتاباتِهِ النَّقْدِيَّةِ المَنْهَجِيَّةِ.. وحَبَّذا لو أَبْرَزَ النّاقِدُ ذائِقَتَهُ في نَقْدِهِ، خاصَّةً إِذا كانَتْ ذائِقَةً راقِيَةً.

(البقيعة/الجليل) 16/3/2016

النّاقِدُ..

لَيسَ النَّقْدُ بِالعَمَلِ السَّهْلِ كَما يَعْتَقِدُ البَعْضُ، والنّاقِدُ الجادُّ هُو ذاكَ الّذي يَتَصَيَّدُ الأَعْمالَ الأَدَبِيَّةَ الإِبْداعِيَةَ ويُعالِجُها بِشَوقِ الّذي وجَدَ الفَرَحَ بَعْدَ طولِ حُزْنٍ؛ أَو الشَّرابَ بَعْدَ طولِ عَطَشٍ. هذِهِ الفَرْحَةُ لا يَجِبُ أَنْ تَفْسَحَ لِأَهوائِهِ مَطْرَحًا على طاوِلَةِ مَكْتَبَتِهِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يَكْتُبَ بِحِيادِيَّةٍ وَبِصِدْقٍ مُعْتَمِدًا على ذائِقَتِهِ أَوَّلًا، وعلى بَصيرَتِهِ الثّاقِبَةِ ثانِيًا، وعلى سِعَةِ ثَقافَتِهِ واطِّلاعِهِ على المَدارِسِ النَّقْدِيَّةِ ثالِثًا. إِذْ لَيسَ مِنَ المَعْقولِ أَنْ يَكونَ صاحِبُ العَمَلِ الابْداعِيِّ أَرْقى ذائِقَةً، وأَوسَعَ ثَقافَةً واطِّلاعًا مِنَ النّاقِدِ. وإِلّا سَيَفْقِدُ النَّقْدُ مَعْناهُ وصِفَتَهُ، ويُصْبِحُ كالظِّلِّ الباهِتِ لِشَجَرَةٍ يانِعَةِ الأَغْصانِ بَهيجَةِ الأَزْهارِ، فَيَضُرُّ بِهِ ولا يُفيدُ صاحِبَ العَمَلِ المَنْقودِ المُتَطَلِّعِ، على الأَقَلِّ، إِلى نَقْدٍ يُعينُهُ على تَجَنُّبِ العُيوبِ الأَدَبِيّةِ في نَصِّهِ.

والنّاقِدُ الجادُّ (وهذا ما أَراهُ أَنا) هُوَ ذاكَ الّذي يُقَدِّمُ ذائقَتَهُ على ما يَخْزُنُهُ مِنْ نَظَريّاتٍ نَقْدِيَّةٍ، بَعيدَةٍ - على الأَغْلَبِ – عنِ الذّائِقَةِ العَرَبِيَّةِ، لِأَنَّ النَّقْدَ الانطِباعِيَّ المُعْتَمِدَ على

ذائِقَةِ النّاقِدِ العارِفِ تَظَلُّ هي الأَكْثَرَ قُبولًا عِندَ القارِئِ العَرَبِيِّ العادِيِّ.. هذا لا يَعْني إِطْلاقًا أَنَّ عَلَينا – نَحْنُ العَرَبَ – تَجاهُلَ الآدابِ العالَمِيَّةِ بِمَدارِسِها النَّقْدِيَّةِ النّاشِطَةِ؛ ولكِنَّا نُطالِبُ النّاقِدَ بِأَنْ يَعْرِفَ كَيفَ يَسْتَفيدُ مِنَ المَقولَةِ المُقْتَبَسَةِ، تَمامًا كَالطّاهي الماهِرِ الّذي يَعْرِفُ مِقْدارَ المِلْحِ الَّذي يَحْتاجُهُ لِيَزيدَ طَعامَهُ نَكْهَةً.

وحينَ تَجْتَمِعُ مُقَوِّماتُ النَّقْدِ عِنْدَ النّاقِدِ، يَأْتي النَّقْدُ نَصًّا أَدَبِيًّا شائِقًا لِجَمْعِهِ بَينَ كَونِهِ إِبْداعًا نَقْدِيًّا واقِعًا على إِبداعٍ نَصِّيٍّ في نَصٍّ واحِدٍ.

(البقيعة / الجليل) 23/3/2016

القِصَّةُ القَصيرَةُ..

إذا اتَّفَقْنا على أَنَّ مَرْحَلَةَ كِتابَةِ القِصَّةِ القَصيرَةِ بِما اتَّفَقَ عليهِ النُّقّادُ والكُتّابُ مِنْ شُروطِ نَجاحِ القِصَّةِ أَو عَدَمِ نَجاحِها، كَأَنْ تَبْدَأَ بِمُقَدِّمَةٍ بَعْدَها يَأْتي العَرْضُ فالحَبْكَةُ فَالتَّأَزُّمُ فَالعُقْدَةُ فالحَلُّ أَو النِّهايَةُ، وقَدْ تَكونُ مَفْتوحَةً لِيَجْمَحَ فيها خَيالُ القارِئِ، أَو تُعْطيهِ الحَلَّ وتُغْلِقُ عَلَيهِ بابَ التَّأَمُّلِ والتَّفْكيرِ.. أَقولُ: إذا اتَّفَقْنا على ذَلِكَ فَقَدْ نَتَّفِقُ أَو لا نَتَفِقُ على أَنَّها مَرْحَلَةٌ قَدِ انْتَهَتْ، وأَصْبَحَ الكُتّابُ يَكْتُبونَها بِلا قَيدٍ أَو شَرْطٍ؛ هذا لا يَعْني أَنَّ كُلَّ ما نَقْرَؤُهُ تَحْتَ عُنْوانِ (قِصَّة قَصيرة) هُوَ قِصَّةٌ قَصيرةٌ فِعْلًا؛ لِأَنَّ القِصَّةَ القَصيرَةَ فَنٌّ كِتابِيٌّ صَعْبُ المِراسِ، وقَدْ يَتَقَرَّرُ نَجاحُ القِصَّةِ أَو نَبْذُها جانِبًا مِنَ الجُمْلَةِ الأُولى، فَهِيَ تَعْتَمِدُ على الإثارَةِ والتَّشْويقِ أَوَّلًا، بَعْدَهُما تَأْتي بَراعَةُ الكاتِبِ في شَدِّ القارِئِ الكَريمِ وذلكَ بِاخْتِيارِ مَوضوعاتِهِ، وأُسْلوبِ عَرْضِهِ لَها بِلُغَةٍ مُنْتَقاةٍ لِجُمَلٍ قَصيرَةٍ مُخْتَزَلَةِ التَّرْكيبِ، غَنِيَّةٍ بِما أُشْبِعَتْ مِنَ كَلامٍ يَنْقُلُكَ إِلى ما وَراءَ الكَلامِ. والقِصَّةُ القَصيرَةُ كَغَيرِها مِنَ الفُنونِ تَنْتَمي إِلى

مَدْرَسَةٍ مِنْ مَدارِسِهِ بِحَسَبِ انْتِماءِ كاتِبِها إِلى هذهِ المَدْرَسَةِ الفَنِّيَّةِ أَو تِلْكَ؛ لكِنَّها بِالرَّغْمِ مِنَ اختِلافِ انْتِماءاتِها، تَتَّفِقُ على أَنَّها جاءَتْ على الأَغْلَبِ.. لِتُعالِجَ ظَاهِرَةً اجْتِماعِيَّةً عامَّةً، أَيْ جاءَتْ لِتَكونَ فَنًّا هادِفًا.

لا مَجالَ إِطْلاقًا لِلَّغْوِ أَو لِلْحَشْوِ في القِصَّةِ القَصيرَةِ لِأَنَّها، وَمِنْ أَبْسَطِ تَعْرِيفاتِها أَنَّها رِوايَةٌ أَو مَشْروعُ رِوايَةٍ فَعَلَ تَكْثيفُ الكاتِبِ الذَّكِيِّ لِلْجُمَلِ ولِلْمَعاني فِعْلَهُ في النَّصِّ، دونَ الإِخْلالِ بِأَرْكانِ العَمَلِ الأَساسِيَّةِ؛ بِاسْتِثْناءِ شُخوصِ الرِّوايَةِ، فَلا مُتَّسَعَ لِلْعَديدِ مِنَ الشَّخْصِيّاتِ في القِصَّةِ القَصيرَةِ.

هَلْ كانَ في أَدَبِنا قِصَّةٌ قَصيرَةٌ؟ أَنا، وبِكُلِّ تَواضُعٍ أَقولُ لا! رُغْمَ اجْتِهادِ البَعْضِ، فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ما جاءَ مِنْ حِكاياتٍ في أَلْفِ ليلَةٍ ولَيلَةٍ (حِكاياتُ السِّنْدَباد) أَو مِنْ حِكاياتِ (كَليلَة و دِمْنَة)، وَمِنْ مَقاماتِ بَديعِ الزَّمانِ الهَمَذاني (عَبْد الرّحمن بن عيسى ت. 932 م) أُصولٌ عَرَبِيَّةٌ لِقِصَّتِنا القَصيرَةِ.. والحَقيقَةُ غَيرُ ذلِك؛ إِنَّها فَنٌّ غَرْبِيٌّ اسْتَمْلَحْناهُ فَاستَورَدْناهُ، ولا عَيبَ في ذَلِكَ..

(البُقيعَة /الجَليل2016/3/3)

الرِّوايَةُ..

الزَّمانُ والمَكانُ رُكْنانِ أَساسِيّانِ في العَمَلِ الرِّوائِيِّ، ولِيسَ المَقْصودُ هُنا حَرْفِيَّةَ المَعْنى في الكَلِمَتَينِ (الزَّمان والمَكان)؛ وإنَّما المَكانُ الّذي يُريدُنا الكاتِبُ أَنْ نَتَخَيَّلَهُ، ومِنْ ثَمَّ يَنْقُلُنا لِنَعيشَ فيهِ بَينَ أُناسِ ذاكَ المَكانِ، في زَمَنٍ هو زَمانُهُمْ يَمْتَدُّ أَو يَنْحَسِرُ بِحَسَبِ طولِ أَو قِصَرِ أَحْداثِ الرِّوايَةِ.

وإِنْ كانَ مِقْياسُ نَجاحِ القِصَّةِ القَصيرَةِ هُوَ كَيفَ يَشُدُّنا القاصُّ إِلى قِصَّتِهِ مِنْ سَطْرِها الأَوَّلِ، فالرِّوايَةُ النّاجِحَةُ هي الّتي تَشُدُّنا إِلَيها مِنْ صَفَحاتِها الأُولى، لا بَلْ مِنْ أَسْطُرِها الأُولى، ولَنْ يَكونَ ذلِكَ إِلّا إذا أَيقَظَ الكاتِبُ فينا نَزْعَةَ حُبِّ الاسْتِطْلاعِ بِما يَبُثُّهُ في نُفوسِنا مِنْ تَشْويقٍ، وهذا بِدَورِهِ يُشْعِلُ فينا فَتيلَ الرَّغْبَةِ في مُواصَلَةِ القِراءَةِ بِمُتْعَةٍ. هذِهِ المُتْعَةُ مَرجُوَّةٌ عِنْدَ قِراءَتِنا لِأَيِّ كِتابٍ، خاصَةً عِنْدَ قِراءَتِنا لِلرِّوايَةِ مَهْما تَنَوَّعَتْ مَواضيعُها وتَنَقَّلَتْ ما بَينَ كَونِها تّاريخِيَّةً أَوعاطِفِيَّةً أَو بوليسِيَّةً أَو اجْتِماعِيّةً أَو وَطَنِيَّةً أَو حَتّى سيرَةَ حَياةٍ لِشَخْصِيّاتٍ تاريخِيَّةٍ أَو لِأُدَباءٍ

قَدْ عاشُوا حَياةً فيها العِظَةُ وفيها التَّجْرِبَةُ الحَياتِيَّةُ الّتي لا ضَيْرَ إنِ اقتَدى بِها أَبْناؤُنا.

والمُتْعَةُ المَقْصودَةُ في طَرْحِنا هذا هي مُتْعَةُ التَّخَيُّلِ لِعَوالِمَ يَحْمِلُنا الكاتِبُ إليها –كَما ذَكَرْنا سابِقًا - لِنُعايِشَ أَهْلَها الَّذينَ هُمْ (أَبْطالُ) الرِّوايَةِ بِحِواراتِهِم وبِصِراعاتِهِمْ، لِدَرَجَةِ إيهامِنا بِأَنَّنا نَعيشُ في واقِعٍ غَيرِ واقِعِنا. أَمّا المُتْعَةُ الثّانِيَةُ فَهْيَ مُتْعَةُ اللُّغَةِ؛ إذْ لَيسَ مِنَ المَعْقولِ أَنْ تَتِمَّ المُتْعَةُ الأُولى بِدونِ لُغَةٍ تُحَرِّكُ عُقولَنا وتُغَذّيها بِلُغَةٍ سَليمَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الشِّعْرِ جانِبًا، ومِنْ رَشاقَةِ عِباراتِ القِصَّةِ القَصيرَةِ جانِبًا، ومِنَ الابْتِعادِ عَنْ عِباراتٍ مَوروثَةٍ عافَتْها النُّفوسُ لِتَكْرارِها، ومِنَ الاجْتِهادِ بِابْتِكارِ لُغَةٍ يَرْتاحُ لَها القارِئ. هكَذا يُكَوِّنُ الرِّوائِيُّ الجادُّ بَصْمَتَهُ الأَدَبِيَّةَ الّتي سَيُعْرَفُ بِها... وَلَنْ يَكونَ رِوائِيًّا مُجَلِّيًا بِدونِها!

(البُقَيعَة / الجَليل) 6/4/2016

المَسْرَحِيَّةُ..

لَيسَتِ المَسْرَحِيَّةُ، بِرَأْيِنا المُتَواضِعِ، سِوى رِوايَةٍ تَنازَلَتْ عَنْ سَرْدِيَّتِها لِصالِحِ الحِوارِ الّذي هُوَ قَوامُ العَمَلِ المَسْرَحِيّ، فَأَبْطالُ الرِّوايَةِ أُناسٌ عاشُوا في زَمانٍ مُعَيَّنٍ، وفي مَكانٍ مُعَيَّنٍ، نَتَعَرَّفُ على أَوصافِهِم وعلى صِفاتِهِمْ الجَسَدِيَّةِ والنَّفْسِيَّةِ بِما يُقَدِّمُهُ لَنا الرَّاوي / الرِّوائِيُّ مِنْ مَعْلوماتٍ بِدونِها لا يُمْكِنُنا أَنْ نَنْتَقِلَ مِنْ واقِعِنا الحَياتِيِّ إِلى الفَضاءِ الرِّوائِيِّ الَّذي يُريدُنا الكاتِبُ أَنْ نَتَخَيَّلَهُ وأَنْ نَعيشَهُ.. أَمّا في المَسْرَحِيَّةِ فَنَحْنُ نَتَعَرَّفُ على أَبْطالِها خِلالَ قِراءَتِنا حِواراتِهم عِنْدَ القِراءَةِ؛ وأَمّا على خَشَبَةِ المَسْرَحِ فَإِنَّنا نَلْتَقيهِمْ وَجْهًا لِوَجْهٍ، مُجَسَّدينَ بِمُمَثِّلينَ يَتَحاوَرونَ ويَتَصارَعونَ ويَتَمازَحونَ، فَإِنْ ضَحِكوا أَضْحَكوا، وإِنْ بَكَوا أَبْكَوا ولا يَتْرُكونَنا إِلّا بَعْدَ أَنْ يُحَمِّلونا هَمًّا اجْتِماعِيًّا ما يَجِبُ إِصْلاحُهُ، ونَكونَ كَأَنَّنا شُرَكاءٌ لَهُمْ هَمًّا وتَمْثيلًا.

سَنَتْرُكُ الدِّراساتِ الأَكاديمِيَّةَ لِلْدّارِسينَ والباحِثينَ في تاريخِ المَسْرَحِ وأَهَمِّيَّتِهِ في حَياةِ الشُّعوبِ بَدْءًا بِالمَسْرَحِ اليونانيِّ القَديمِ فَالشّكْسْبيرِيِّ فَالعَصْرِ الحَديثِ؛ وسَنُشيرُ

إلى ما يَهُمُّنا وما نَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَهُمُّ القارِئَ الكَريمَ في إِضاءَتِنا هَذِهِ، فَنَتَذَكَّرُ ونُذَكِّرُ أَنَّ العَمَلَ المَسْرَحِيَّ أَنْواعٌ؛ مِنْها المَسْرِحِيَّةُ الكوميدِيَّةُ (الهَزْلِيَّةُ) وتَعْتَمِدُ على عَرْضِ ونَقْدِ الظَّواهِرِ الاجْتِماعِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ بِأُسْلوبٍ ساخِرٍ.. وعَكْسُها المَسْرَحِيّةُ التراجيدِيّةُ (المَأْساةُ) وعادَةً ما تَنْتَهي بِفاجِعَةٍ تُحَرِّكُ أَحاسيسَنا وتَسْتَدِرُّ دُموعَنا.. وهُناكَ المَلْهاةُ وهي مِنْ أَجلِ الْإِضْحاكِ فَقَط، لَعَلَّ في الضَّحِكِ ما يُرَوِّحُ عَنِ القُلوبِ المُتْعَبَةِ، وما يَكْشُطُ عَنْ أَشْغِفَتِها ما عَلِقَ عَلَيها مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ تَعَبِ العَمَلِ في مَزارِعِ ومَصانِعِ مُسْتَغِلِّينَ؛ وهذا بِحَدِّ ذاتِهِ يُشَكِّلُ هَدَفًا سامِيًا... ولا نَنْسى المَسْرَحِيَّةَ التَّعْليمِيَّةَ، وهي لِطُلّابِ المَدارِسِ أَنْفَعُ.

هَلْ مِنْ عُيوبِ مَسْرَحِيّاتِنا العَرَبِيَّةِ أَنَّها، بِغالِبِيَّتِها، تُكْتَبُ وتُعْرَضُ بِاللَّهْجةِ أَو اللَّهَجاتِ العامِيَّةِ؛ فَيأْتي العَمَلُ المَسْرَحِيُّ مَنْقوصًا لِما تَحْمِلُهُ الفُصْحى مِنْ جَمالِيَّةٍ مُحَبَّبَةٍ؟ سُؤالٌ لَيسَ بِالسَّهلِ، ولَيسَ المَقصودُ هُنا أَنْ نَدْخُلَ في جَدَلِيَّةِ الفُصْحى والعامِّيَّةِ، ولكنْ نَطْرَحُهُ مادَّةً لِلتَّفْكيرِ لا َكْثَر..

(البُقَيْعة / الجَليل) 13/4/2016

المَقالَةُ..

لا أَدْري لِماذا عَزَفَ الكُتّابُ عِنْدَنا عَنْ كِتابَةِ المَقالَةِ كَفَنٍّ كِتابِيٍّ هامٍّ، وجَنَحوا إلى كِتابَةِ القِصَّةِ والرِّوايَةِ والشِّعْرِ؛ عِلْمًا أَنَّ المَقالَةَ لا تَخْلو مِنَ المُتْعَةِ ومِنَ الفائِدَةِ. ولا أَقْصَدُ هُنا التَّقريرَ الصَّحَفِيَّ، مَعَ أَنَّهُ يَقومُ بِدَورٍ هامٍّ وكَبيرٍ؛ ولكِنّي أَقْصِدُ تِلْكَ المَقالاتِ الَّتي تَلَبَّأْنا عَلَيها في مَطْلَعِ شَبابِنا، وأَخُصُّ بِالذِّكْرِ لا الحَصْرِ ما جادَ بِهِ عَلَينا قَلَمُ الكاتِبِ والمُفَكِّرِ الرّائِدِ سَلامة موسى (1886م – 1958م) وما أَتْحَفَنا بِهِ الأَديبُ المُجَلِّي أَحْمَدْ أَمين (1886م – 1954م) وإبراهيم عَبْد القادر المازِني (1889م – 1949م) الَّذي أَبْهَجَنا وأَضْحَكَنا بِكُلِّ ما كَتَبَ، والقائِمَةُ طَويلَةٌ....

امتازَتْ مَقالاتُ كُتّابِ المَقالَةِ الرُّوّادِ بِجَماليَّةِ التَّعْبيرِ الّذي يَنْقُلُ وُجْهَةَ نَظَرِ الكاتِبِ الشَّخْصَيَّةَ بِإيجازٍ حَيثُ يَلْعَبُ الإيجازُ دَورَهُ عِنْدَ القارِئِ الكَريمِ؛ وبِالإطالَةِ غيرِ المُبالَغِ فيها حينَ تَلْعَبُ الإطالَةُ دَورًا هامًّا في شَرْحِ ونَقْدِ ما يَبْتَغيهِ الكاتِبُ مِنْ مَقالَتِهِ، وَمِنْ تَحْديدِ أَهْدافِهِ بِأُسْلوبٍ

شائِقٍ ومُمْتِعٍ لا يَخْلو مِنْ شَطَحاتٍ رومانْسِيَّةٍ وصُوَرٍ فَنِّيَّةٍ مَعَ تَبْسيطٍ لِلْمواضيعِ العِلْمِيَّةِ الَّتي يُعالِجُها.

لَقَدِ اجْتَهَدَ بَعْضُ الكُتّابِ العَرَبِ مُعْتَقِدينَ أَنَّ لِلْمَقالَةِ الحَديثَةِ جُذورًا تَمْتَدُّ إِلى ما عُرِفَ في الأَدَبِ العَرَبِيِّ بِالفُصولِ، وبِالرَّسائِلِ، أَو بِما كَتَبَهُ ابنُ الجَوزيِّ (1116م – 1201م) خاصَّةً في كِتابِهِ (صَيدُ الخاطِرِ) – وهذا يُذَكِّرُنا بِكِتابِ أَحْمَدْ أَمين (فَيضُ الخاطِرِ) – والحَقيقَةُ غَيرُ ذلِكَ؛ فَالكاتِبُ الفَرَنْسِيُّ ميشيل دي مونْتين (1533م – 1592م) هُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ المَقالَةَ الحَديثَةَ، ويُعْتَبَرُ رائِدَها؛ تَبِعَهُ الكاتِبُ الإِنْجليزِيُّ فرانسيس بيكون (1561م – 1626م)، وقَدْ أَبْدَعَ في كِتابَتِها.

في مُنْتَصَفِ القَرْنِ التّاسِعَ عَشْرَ صارَتْ الأَسْبَقِيَّةُ لِلْمَقالَةِ عِنْدَ الكُتّابِ العَرَبِ في مِصْرَ وفي لُبْنانَ.. ولَيتَ كُتّابَنا اليومَ يَعودونَ إِلى المَقالَةِ ويُحافِظونَ على هذهِ (الأَسْبَقِيَّةِ) لِنَرْتاحَ قَليلًا مِنْ سَطْوَةِ الشِّعْر..!

(البقيعة/ الجليل) 20/4/2016)

أَدَبُ الأَطْفالِ..

جاءَ في تَعْريفِ أَدَبِ الأَطْفالِ، شِعْرًا ونَثْرًا، هو ذاكَ الأَدَبُ الخاصُّ بِالأَطْفالِ دونَ سِنِّ المُراهَقَةِ؛ وقدْ قَسّمَهُ المُهْتَمونَ بِهِ إِلى ثَلاثِ فِئاتٍ، الأُولى تَبْدَأُ مِن عُمْرِ صِفْرٍ الى ثمانِي سَنَوتٍ، وتَبْدَأُ الثّانِيةُ، وهي المُتَوَسِّطَةُ، مِنْ عُمْرِ ثَماني سَنَواتٍ الى اثْنَتَي عَشْرَةَ سَنَةً؛ وأَما الثّالِثَةُ فَهي أَدَبُ الفِتْيانِ وتَبْدَأُ مِنْ سِنِّ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ حَتّى السّادِسَةَ عَشْرَة.

كانَ لا بُدَّ مِنْ هذِهِ الفاتِحَةِ اليابِسَةِ لِما تَحْمِلُهُ مِنْ تَوضيحٍ لِلْقُرّاءِ الكِرامِ الَّذينَ لا يَنْتَبِهُونَ لِتِلْكَ المَراحِلِ الثَّلاثِ عِنْدَ شِراءِ الكِتابِ، لِأَنَّ تَوافُقَ القِصَّةِ مَعَ سِنِّ الطِّفْلِ أَمْرٌ هامٌّ، ولَهُ أَبْعادٌ سَيكُولوجِيَّةٌ (نَفْسِيَّةٌ) تَرْتَبِطُ ارتِباطًا عُضْويًّا بِأَفْكارِ الطِّفْلِ وبِعاطِفَتِهِ، فالَّذي يُثيرُ دَهْشَةَ الطِّفْلِ ابنِ الخامِسَةِ ويَشُدُّهُ إِلى الكِتابِ، مَثَلًا، لا يُثيرُ ابْنَ الخامِسَةَ عَشْرَةَ، لِما بَينَ الجيلَينِ مِنْ تَبايُنٍ في اللُّغَةِ وفي سِعَةِ الخَيالِ، والْتِهابِ العاطِفَةِ، وفي القُدْرَةِ على استيعابِ الأَحْداثِ بِأَبْعادِها الفِكْرِيَّةِ والدِّرامِيَّةِ. أَمّا

الكاتِبُ النّاجِحُ والمُبْدِعُ، وهو العارِفُ لِأَيِّ جيلٍ يَكْتُبُ، فَما عَلَيهِ إِلّا أَنْ يَكْتُبَ بِلُغَةٍ سَليمَةٍ تُلائِمُ الجيلَ المُخاطَبَ، باعِثَةً فيهِ الرَّغْبَةَ في القِراءَةِ مِنَ السُّطورِ الأُولى وذلِكَ عن طَريقِ الإِثارَةِ والتَّشْويقِ وبُعْدِ الخَيالِ الّذي يَنْقُلُهُ مِنْ واقِعِهِ، واقِعِ الزَّجْر والنَّهْيِ والأَمرِ إِلى عَوالِمَ مُتَخَيَّلَةٍ هُوَ الآمِرُ النّاهي فيها.

اتَّفَقَ الباحِثونَ على أَنَّ أَدَبَ الأَطفالِ قَدْ تَطَوَّرَ في القَرْنِ السّابِعَ عَشَرَ في أَوروبّا؛ أَمّا عِنْدَنا فَقَدِ ازْدَهَرَ في مُنْتَصَفِ القَرْنِ العِشْرينَ مُعْتَمِدًا على اقتِباساتٍ مِنَ الأَساطيرِ والحِكاياتِ الشَّعْبِيَّةِ (أَلف ليلة وليلة) والحِكاياتِ التّاريخِيَّةِ والدِّينِيَّةِ..

حينَ كَتَبَ كامل كيلاني (1897م – 1959م) قِصَصَهُ، وهو رائِدُ أَدَبِ الأَطفالِ بِحَقٍّ، لَمْ يَكُنْ عالِمًا نَفْسِيًّا، ولكِنَّهُ بِثَقافَتِهِ الواسِعَةِ عَرَفَ كَيفَ يُخاطِبُ خَيالَ الطِّفْلِ أَوَّلًا، وكيفَ يُثيرُ فيهِ التَّشْويقَ ثانِيًا، وكَيفَ يَجْعَلُهُ يَسْتَنْتِجُ العِظَةَ مِنْ سِياقِ الكَلامِ ثالِثًا... لَقَدْ كانَ كاتِبًا ولَيسَ واعِظًا... فَجَعَلَ مِنّا قُرّاءً مُدْمِنين!

(البُقَيْعة / الجليل) 27/4/2016

الأَدَبُ الشَّعْبِيُّ..

لَيسَ الأَدَبُ الشَّعْبِيُّ مَقْصورًا على الشِّعْرِ العامِيِّ أَو الحُداءِ فَقَطْ بَلْ يَتَعَدّاهُما إِلى ما يَتَرَدَّدُ على أَلْسِنَةِ النّاسِ مِنْ أَدَبٍ عامِّيٍّ، وهذا يَشْمَلُ السّيرَةَ الشَّعْبِيَّةَ، وأَهازيجَ الأَفْراحِ، والزَّغاريدَ، والتَّعْدادَ في المَآتِمِ.

السّيرَةُ الشَّعْبِيَّةُ تَناوَلَتْ حَياةَ المَشاهيرِ اجْتِماعِيًّا وتاريخِيًّا كَالأَنْبِياءِ، والأَبْطالِ مِثْلِ عَنْتَرَةَ، وأَبي زَيدٍ الهِلالي، والزّيرِ سالِم.. وفي مِصْرَ خاصَّةً، انْتَشَرَتْ حِكاياتٌ لَها طَابَعٌ مِصْرِيٌّ كَأَدْهَمِ الشَّرْقاوي، وذاتِ الهِمَّةِ، ودَليلَة وعَلي الزّيبَقِ.. هذِهِ الحِكاياتُ أَخَذَتْ نَصيبًا وافِرًا مِنَ الانْتِشارِ ومِنَ اهْتِمامِ النّاسِ الشَّديدِ، خاصَّةً في المَقاهي حَيثُ كانَ في كُلِّ مَقْهىً راوِيَةٌ يَسْرُدُ الحِكايَةَ بِطَريقَةٍ تَمْثيلِيَّةٍ تَشُدُّ السّامِعينَ إِلى حَدِّ الانْفِعالِ.. أَمّا الشِّعْرُ الّذي كانَ يَتَخَلَّلُ القَصَّ فَقَدْ كانَ يُغَنّى على أَوتارِ رَبابِةٍ لِيَحْلو السِّمَرُ ويَطولُ.

وكانَ لِلْحُداءِ دَورٌ هامٌّ في حَياتِنا القَرَوِيَّةِ، حَيثُ كانَتِ الأَعْراسُ تُقامُ في السّاحاتِ؛ وكانَ الحادِيانِ يَصولانِ

ويَجولانِ كَفارِسَينِ غايةُ الواحِدِ مِنْهُما التَّفَوُّقُ على زَميلِهِ في ارْتِجالِ الشِّعْرِ. أَمّا الأَهازيجُ والمُهاهاةُ (الزَّغاريدُ) فَكانَتْ مِنَ اختِصاصِ نِساءٍ بَرَعْنَ فيهِ، خاصَّةً في الأَعْراسِ عِنْدَ اسْتِقبالِ العَروسَينِ. وأَمّا التَّعْدادُ على المَيِّتِ فَقَدْ اخْتَفى عِنْدَ الرِّجالِ وبَقِيَ عِنْدَ النِّساءِ يُحِطْنَ جُثْمانَ المُتَوَفَّى ويَنْدُبْنَهُ بِتَراتيلَ تَجْرَحُ القَلْبَ، وتُجْري الدَّمْعَ في العُيونِ.

يُخْطِئُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ أَدَبَنا العَرَبِيَّ يَكْتَمِلُ بِدونِ هذا الأَدَبِ الشَّعْبِيِّ الجَميلِ، والّذي هو هُوِيَّتُنا الشَّعْبِيَّةُ الاجْتِماعِيَّةُ والقَومِيَّةُ بِدَليلِ أَنَّ الكَثيرَ مِنَ القَنَواتِ الفَضائِيَّةِ قَدْ أَولَتِ اهتِمامًا خاصًّا بِبَثِّ المُسَلْسَلاتِ التُّراثِيَّةِ، وسَهَراتِ الزَّجَلِ يُقيمُها شُعَراءٌ عامِّيونَ لَهُمْ في هذا المِضْمارِ شَأْنٌ.

وإِنْ كانَ أَميرُ الزَّجَلِ رشيد نخلة (1873م – 1939م) قَدْ وَضَعَ حَجَرَ الأَساسِ في عِمارَةِ الشِّعْرِ العامِّيِّ، فَقَدْ جاءَ بَعْدَهُ شُعَراءٌ رَفَعوا هذهِ العِمارَةَ عالِيًا.

(البُقَيعَة /الجَليل) 4/5/2016

السّينَما..

لا أَعْتَقِدُ أَنَّ عاقِلَينِ اثْنَينِ يَخْتَلِفانِ على أَنَّ الفيلْمَ السّينَمائِيَّ، إِلى جانِبِ كَونِهِ مادَّةً تَرْفيهِيَّةً إِلّا أَنَّهُ يَحْمِلُ رِسالَةً تَثْقيفِيَّةً تَوجيهِيَّةً لا غِنَىً عَنْها في إِنْجاحِهِ ومِنْ ثَمَّ تَصْنيفِهِ في خانَةِ الأَدَبِ الهادِفِ.. وحينَ بَدَأَتِ العُروضُ السّينَمائِيَّةُ تَسْتَهْوي النّاسَ فَيَمْلَؤُونَ بِجُموعِهِمْ قاعاتِ العَرضِ المُتَواضِعَةَ آنَذاكَ، وكانَتْ صامِتَةً، لَمْ تَخْرُجْ عَنْ كَونِها مادَّةً تَرْفيهِيَّةً تَعْليمِيَّةً وحَتّى نَقْدِيَّةً، وخَيرُ مِثالٍ على ذلكَ أُسْطورَةُ السّينَما (تْشارْلي تْشابْلِن1889م – 1977م) الَّذي جَعَلَ مِنَ الكوميديا فَنًّا راقِيًا، فَأَذْهَلَ العالَمَ بِما قَدَّمَهُ مِنْ سُخْرِيَةٍ جَمَعَتْ الضِّحْكَةَ والدَّمْعَةَ في أَعْمالِهِ؛ وهذا ما يُسَمَّى اليومَ بِالكوميْديا السَّوداءِ.. وقَدْ قادَتْهُ عَبْقَرِيَّتُهُ إِلى أَبْعَدَ مِنْ ذلكَ، إِذْ (تَنَبَّأَ) بِزَمانٍ نَعيشُهُ الآنَ، زَمَنِ الآلَةِ المُتَحَكِّمَةِ بِالإِنْسانِ المُعاصِرِ في فِيلْمِهِ الخالِدِ (العُصور الحَديثة).

لا أُريدُ لِمَقالَتِي هذِهِ أَنْ تَنْتَهيَ مِنْ غَيرِ أَنْ أُؤَكِّدَ على أَنَّ اكْتِشافَ السَينَما قَدِ اعْتَمَدَ على عِلْمِ البَصَرِيّاتِ

لِمُؤَسِّسِها (ابن الهَيثَم 965م- 1040م) العَرَبِيِّ، ومِنْ بَعْدِهِ بِقُرونٍ جاءَ (لِيوناردو دافنشي 1452م – 1519 م) الإيطالي، لِيَضَعَ عِلْمَ البَصَرِيّاتِ الحَديثَ مِمَّا سَهَّلَ الأَمْرَ لِلْأَمْريكي (توماس أَدِسون 1847م – 1931م) ولِلأخَوَينِ الفَرِنْسِيَّنِ (لُوميير 1895م) لِاكْتِشافِ التَّصْويرِ الضَّوئِيِّ.

لَقَدْ أَصْبَحَتِ السّينَما اليومَ صِناعَةً لا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ مِنَ التَّطَوُّرِ في التِّقَنِيّاتِ كالسّيناريو والتَّصْويرِ والدّيكورِ والمُنْتاجِ والإخْراجِ والموسيقى التَّصْويرِيَّةِ والتَّمْثيلِ، وقَدْ لا يَكونُ خافِيًا على المُهْتَمّينَ بِهذِهِ الصِّناعَةِ أَنَّ مُفَكِّرًا وقائِدًا، وبانِيَ أَوَّلِ دَولَةٍ شُيوعِيَّةٍ مِثْلَ لينينَ، يُعْلِنُ عامَ 1920م أَنَّ السّينَما هي أَكْثَرُ الفُنونِ أَهَمِّيَّةً بِالنِّسْبَةِ لِلْسّوفييت (مَوسوعَة ويكيبيديا).

ومُجْمَلُ القَولِ: إِنَّ السّينَما وَسيلَةٌ إِعلامِيَّةٌ كَثيرَةُ النَّفْعِ إِنْ سُخِّرَتْ لِنَشْرِ العِلْمِ والوَعْيِ والتَّقارُبِ بَينَ الشُّعوبِ... وكَثيرَةُ الضَّرَرِ إِنْ سُخِّرَتْ في خِدْمَةِ الشَّرِّ والأَشْرارِ، حَيثُ تَقْلِبُ الظّالِمَ مَظْلومًا، والمَظْلومَ ظالِمًا؛ كَأَفْلامِ الغَربِ الأَمْريكيِّ الّتي أَظْهَرَتِ الهِنْدِيَّ الأَحْمَرَ

مَخْلوقًا مُتَوَحِّشًا لا هَمَّ له سِوى قَتْلِ الأَبْيَضِ (المِسْكين!!) والاعْتِداءِ على النِّساءِ والأَطفالِ، وأَخْذِ فَرْوَةِ الرَّأْسِ كَعَلامَةٍ لِلْقُوَّةِ والبُطولَةِ!

(البقيعة الجليل) 11/5/2016

الرّاديو أو (المِذْياع)

لا لِشَيءٍ سِوى لِإنْعاشِ الذّاكِرَةِ أَقولُ: إنَّ أَوَّلَ بَثٍّ إذاعِيٍّ كانَ سَنَةَ 1906م. ومُنْذُ ذلِكَ التّاريخِ يُعْتَبَرُ المِذْياعُ أَهَمَّ الوَسائِلِ الصَّوتِيَّةِ. والاسمُ (راديو) أُخِذَ مِنْ الكَلِمَةِ اللاتينِيَّةِ (راديوس) وتَعْني نِصْفَ قُطْرِ الدّائِرَةِ، لِأَنَّ البَثَّ يكونُ على شَكْلِ دَوائِرَ بِتَمَوُّجاتٍ كَهْرومِغْناطيسِيَّةٍ / صوتِيَّةٍ تَنْتَشِرُ بِسُرْعَةِ الضَّوءِ الَّتي هيَ ثَلاثُ مِئَةِ أَلْف كم / ثانِية. فالبَثُّ الإذاعِيُّ إذًا، يَبْدَأُ بِدُورِ الإذاعَةِ الّتي تَبُثُّ تِلْكَ التَّمَوُّجاتِ، الكَهْرومِغْناطيسِيَّةَ / الصَّوتِيَّةَ ويَنْتَهي بِإعادَتِها إلى تَمَوُّجاتٍ صَوتِيَّةٍ ثانِيَةً عن طَريقِ جِهازِ الاسْتِقْبالِ المَوجودِ في جِهازِ الرّاديو. ولِلْحَقيقَةِ أَقولُ: لَيسَ لي فيما تَقَدَّمَ شَأْنٌ لَولا حَقُّ القارئِ الكَريمِ عَلَيَّ في تَوضيحِ هذا الأَمْرِ لِما لِلْبَثِّ الإذاعِيِّ مِنْ أَثَرٍ في حَياتِنا. فَجِهازُ الرّاديو كانَ ولا يَزالُ رَفيقَنا في البَيتِ وفي السَّيّارَةِ وفي أَماكِنِ أَعْمالِنا؛ وهْوَ الّذي يَنْقُلُ لَنا أَخْبارَ الأَمصارِ القَريبَةِ والبَعيدَةِ جاعِلًا مِنْ هذا العالَمِ دَولَةً واحِدَةً، وجاعِلًا مِنَ الإنْسانِ المُعاصِرِ فَرْدًا مِنْ

أَفرادِ هَذِهِ العائِلَةِ البَشَرِيَّةِ، لَهُ كَأَيِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرادِها وعَلَيهِ ما على الآخَرِ مِنْ الشُّعُورِ الأُمَمِيِّ الجَميلِ الَّذي يوصِلُ الإنْسانَ بِالإنْسانِ فِكْرًا وعاطِفَةً.

وعَودٌ على بَدْءٍ، لَيسَ مِنْ حَقِّنا، نَحْنُ البَشَرَ، أَنْ نَنْسى دَوْرَ الرَّاديو في حَياتِنا، خاصَّةً إزاءَ ما اسْتَجَدَّ عَلَينا وعَلَيهِ مِنْ أَعْداءٍ أَلِدّاءَ كَالتِّلِفِزْيونِ ومُؤَخَّرًا الكُمْبيوتَر وال (آي فون)؛ هذا إذا حافَظَ على دَورِهِ الرِّيادِيِّ في نَشْرِ البَرامِجِ الثَّقافِيَّةِ بِشُمولِيَّةٍ وبِروحٍ تَقَدُّمِيَّةٍ في مَنْأَىً عَنِ الأَهْواءِ الدِّعائِيَّةِ الَّتي تَجْعَلُ مِنْهُ بوقًا لِلْقَدْحِ أَو لِلْمَدْحِ في نَشَراتِهِ الإخْبارِيَّةِ، وحَتّى في البَرامِجِ الأُخْرى المُنْتَقاةِ لا لِشَيءٍ سِوى لِخِدْمَةِ القَيِّمينَ عَلَيهِ.

وإذا كانَ التِّلِفِزْيون، على أَهَمِّيَّتِهِ، قَدْ سَرَقَ الجارَ مِنْ جارِهِ، وال (فيس بُكْ) قَدْ سَرَقَ الأَخَ مِنْ أَخيهِ، فَيَكْفي الرّادْيو فَخْرًا أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذلك..

(البقيعة / الجليل) 18/5/2016

أَدَبُ الرِّحْلاتِ..

هَلْ جاءَتِ الميديا الحَديثَةُ لِتُنْهي، وبِالضَّرْبَةِ القاضِيَةِ، ما عُرِفَ أَو عُرِّفَ بِأَدَبِ الرِّحْلاتِ؟! سُؤالٌ وَقَفْتُ عِنْدَهُ موجَعًا حائِرًا لِما كانَ لِهذا النَّوعِ مِنَ الأَدَبِ مِنَ انْتِشارٍ واسِعٍ في المُجْتَمَعاتِ البَشَرِيَّةِ على اخْتِلافِ شَرائِحِها الطَّبَقِيَّةِ.. لَيسَ لِأَنَّ الرَّحالَةَ هو نَفْسُهُ بَطَلُ الرِّوايَةِ، أَو راوِيَةُ أَخْبارِها فَقَطْ، بَلْ لِأَنَّهُ شاهِدُ عِيانٍ، أَو ناقِلُ أَخْبارِ تِلْكَ الأَمْصارِ مُباشَرَةً مِنْ قاطِنيها.. وخَيرُ مِثالٍ على ذَلِكَ الرَّحّالَةُ العَرَبِيُّ المَشْهورُ ابن بَطّوطة (محمد بن عبدِاللّه الطَّنْجِيِّ 1304م – 1377م) الَّذي خَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ طَنْجَة (مرّاكش)، فَطافَ بِلادَ المَغْرِبِ ومِصْرَ والسّودانَ والشّامَ والحِجازَ وتِهامَةَ والعِراقَ وفارِسَ واليَمَنَ وعُمانَ والبَحْرينِ وتُرْكِسْتانَ وبِلادَ ما وَراءَ النَّهْرِ؛ (وهْيَ جُزْءٌ مِنْ آسيا الوُسْطى الواقِعَةِ بَينَ نَهْرِ الأَمور داريا (جيحون) غَرْبًا، والسّير داريا (سيحون) شَرْقًا. وَقَدْ زارَ أَيضًا بَعْضَ الهِنْدِ، والصّينَ والجاوَةَ (سومَطْرَة) وبِلادَ التَّتارِ وأَواسِطَ أَفْريقيا. اسْتَرْسَلْتُ - ولْيَعْذِرْني القارِئُ الكَريمُ -

بِذِكْرِ أَسماءِ البُلْدانِ الَّتي زارَها هذا الرَّجُلُ الهُمامُ مُتَنَقِّلًا مِنْ قُطْرٍ لِآخَرَ بِوسائِلِ تِلْكَ الأيّامِ لِلدَّلالَةِ على صُعوبَةِ عَمَلِ رَحّالَةِ ذاكَ الزَّمانِ، ومِصداقِيَّةِ هذهِ المُؤَلَّفاتِ الهامّةِ القابِعَةِ على رُفوفِ المَكْتَباتِ ولا يَمَسُّها أَحَدٌ! وهْيَ بِشُمولِيَّةِ مادَّتِها قَدْ تَكونُ أَكْثَرَ فائِدَةً وتَشْويقًا مِنْ كُتُبٍ أُخْرى مُتَداوَلَةٍ؛ أَو حَتّى مِنَ الجُلوسِ على كُرْسِيٍّ مُريحٍ، مَعَ فِنْجانِ قَهْوَةٍ أَمامَ شاشَةِ التِّلِفِزْيونِ ومُشاهَدَةِ بَرامِجَ تَحْمِلُ مُواصَفاتِ أَدَبِ الرِّحْلاتِ والمَنْقولَةِ بِأَحْدَثِ التِّقَنِيّاتِ.

هُناكَ مَنِ اعْتَبَرَ رِحْلاتِ السِّنْدَبادَ (أَلْف ليلة ولَيلة) أَو رِحْلاتِ جوليفر لِلْكاتِبِ البَريطانِيِّ (جوناثان سْويفْت 1667م – 1745م)، أَو حَتّى تَغْريبَةَ بَني هِلالٍ، أَدَبَ رِحْلاتٍ؛ ولكِنَّهُمْ مُخْطِئُون لِخَلْطِهِمْ بَينَ أَدَبِ الرِّحْلاتِ المَبْنِيِّ على واقِعٍ، وقَدْ يَصِلُ هذا الواقِعُ حَدَّ الخَيالِ أَحْيانًا لِما يَحْمِلُ مِنْ غَرائِبِيَّةِ أَحْداثِهِ، وبَينَ مادَّةٍ تَعْتَمِدُ كُلِّيَّةً على الخَيالِ؛ قَدْ تُوَفِّرُ لَنا المُتْعَةَ، ولكِنْ مِنْ غَيرِ المَعْلومَةِ الكامِنَةِ في كُلِّ سَطْرٍ تَرَكَهُ الرَّحّالَةُ لَنا في مُدَوَّناتِهِ المَكْتوبَةِ لَيسَ بِالحِبْرِ فَقَطْ، بَلْ وبِدَمِهِ أَيضًا!

(البقيعة / الجليل) 25/5/2016

أَدَبُ السّيرَة..

لَطالَما انْجَذَبْتُ، ولا أَزالُ، إلى قِراءَةِ سيرَةِ حَياةِ المَشاهيرِ مِنَ الأُدَباءِ والعُلَماءِ ورِجالِ الفِكْرِ والقادَةِ، وحَتّى المُلوكِ والرُّؤَساءِ، الرّاحِلينَ مِنْهُمْ والأَحْياءِ.. لِما تَرَكوهُ وَراءَهُمْ مِنْ مَآثِرَ انْضافَتْ إلى الرَّصيدِ الإِنْساني الحَضاري.. حَتّى أَلْفريد نوبِل (السّويد 1833م – 1896م) الَّذي اكْتَشَفَ الدّيناميت، كانَ لِسيرَةِ حَياتِهِ مَعْنَىً إِذْ عادَ وكَفَّرَ عَنْ خَطيئَتِهِ بِأَنْ خَصَّصَ جَوائِزَ لِلْعُلَماءِ والأُدَباءِ والأَطِبّاءِ ودُعاةِ السَّلامِ المُتَفَوِّقينَ، تَقْديرًا وتَشْجيعًا؛ واعْتِرافًا مِنْهُ بِأَنَّ عالَمَنا قَدْ يكونُ جَنَّةً بِدونِ وَيْلاتِ حَرْبٍ.

ما يَهُمُّني مِنْ قِراءَةِ السّيرَةِ هُوَ كَيفَ حَقَّقَ هَؤُلاءِ المَوهوبونَ الخالِدونَ هذا البُعْدَ الإِنْسانِيَّ الّذي وَصَلُوا إِلَيهِ!؟ وكَيفَ يُمْكِنُ الاسْتِفادَةُ مِنْهُ، لا لِأَصيرَ مَشْهورًا! بَلْ لِأَجْعَل لِحَياتي قيمَةً لِما أَتَعَلَّمُهُ مِنْهُمْ وذلِكَ بالاقْتِداءِ بِهِمْ سُلوكًا واجْتِهادًا ونَمَطَ حَياةٍ؛ هذا إِذا كانَتْ حَياةُ الواحِدِ مِنْهُمْ أَهْلًا لِلاقْتِداءِ بِها، فَصاحِبُ الشُّهْرَةِ إِنْسانٌ أَصْلًا، هُوَ بَشَرٌ مِثْلُنا لَهُ طُقوسُهُ الحَياتِيَّةُ في أَكْلِهِ وشُرْبِهِ ومَنامِهِ

وقِيامِهِ، وقُرْبِهِ مِنَ النّاسِ العادِيّينَ وبُعْدِهِ عَنْهُمْ. المُهِمُّ عِنْدي هُوَ أَنْ يَكونَ ما يَظْهَرُ لَنا مِنْ حَياتِهِ مُطابِقًا تَمامًا لِما خَفِيَ مِنْها؛ إِذْ لا يُعْقَلُ أَنْ نَراهُ على شاشَةِ التِّلِفِزْيونِ ذاكَ الإِنْسانَ المِثالِيَّ، ذا الشّخْصِيَّةِ المُحَبَّبَةِ؛ وهْوَ في حَياتِهِ العادِيّةِ إِنْسانٌ ذو شَخْصِيَّةٍ مُتَعَجْرِفَةٍ مُنَفِّرَةٍ، إِنَّها الازْدِواجِيَّةُ بِعَينِها! وإِذا كانَ العِلْمُ والأَدَبُ أَخْلاقًا فالأَخْلاقُ لا تُجَزَّأُ، وإِذا كانَ الصِّدْقُ قَوامَ العِلْمِ والأَدَبِ فالصِّدْقُ لا يُجَزَّأُ أَيْضًا.

سُؤالٌ يُمْكِنُ أَنْ يُسْأَلَ، وقَدْ يَكونُ مَشْروعًا.. هَلْ كِتابَةُ السّيرَةِ مَقْصورَةٌ على المَشاهيرِ فَقَطْ؟ لا أَعْتَقِدُ، هُناكَ أُناسٌ كَتَبوا سِيَرَهُمْ بِأَمانَةٍ، وبِفِطْرِيَّةٍ مُذْهِلَةٍ وَصَلَتْ بِهِمْ إِلى مَصافِّ أُدَباءٍ مَشْهورينَ؛ خاصَّةً المُهَجَّرينَ، والغُرَباءَ في أَوطانِهِمْ، والمُغْتَرِبينَ قَسْرًا، والَّذينَ سَكَنَتْهُمْ لَعْنَةُ الأَرواحِ المُتَمَرِّدَةِ!

(البقيعة / الجليل) 1/6/2016

القِصَّةُ القَصيرَةُ جِدًّا!

مُتْعَتانِ هامَّتانِ ولا غِنَىً عَنْهُما، مَرْجُوَّتانِ مِنْ كاتِبِ القِصَّةِ القَصيرَةِ؛ أَوَّلُهُما مُتْعَةُ اللُّغَةِ خاصَّةً إذا كانَ الكاتِبُ قادِرًا على الغَوصِ تَحْتَ لِجاجِها فَيَأْتي بالجَميلِ مِنْ لآلِئِها ويَصوغُها عِقْدًا لِقِصَّةٍ جَميلَةٍ رَشيقَةِ القَوامِ لا يَشْكو قَوامُها مِنْ تَرَهُّلٍ أَو سِمْنَةٍ زائِدَةٍ. وثانيهُما مَضْمونُها وقَدْ يَحْمِلُ لَنا قَضِيَّةً ذِهْنِيَّةً أَو نَفْسِيَّةً أَو اجتِماعِيَّةً؛ وكُلُّها تَرْفَعُ مِنْ مَنْسوبِنا الثَّقافِيِّ.. فَأَينَ القِصَّةُ القَصيرَةُ جِدًا مِنْ كُلِّ هذا!؟ وَهْيَ الَّتي لا تَتَعَدّى السَّطْرَ أَو السَّطْرَينِ، أَو بَالكَثيرِ الكَثيرِ بِضْعَةَ أَسْطُرٍ لا تَحْمِلُ لَنا سِوى البَهْتَةِ وسُؤالٍ استِنْكارِيٍّ: ماذا يُريدُ الكاتِبُ مِنْ قِصَّتِهِ القَصيرَةِ جِدًّا هَذِهِ؟ هَلْ يُريدُ أَنْ يَقولَ هاكُمْ فِكْرَةً مِنْ أَفْكاري وابْنُوا عَلَيها ما شِئْتُمْ مِنْ أَفْكارِكُمْ. إِنْ كانَ الأَمْرُ كَذلِكَ فَسَمِّها ما شِئْتَ ما عَدا قصّةً قَصيرَةً.

المُلْفِتُ لِلنَّظَرِ أَنَّ الكَثيرَ مِنَ كُتّابِ القِصَّةِ القَصيرَةِ – ومِنْهُمْ كُتّابٌ أَعلامٌ – جَنَحوا نَحْوَ هَذا الأُسلوبِ في كِتاباتِهِمْ، ولا أَدْري إِنْ كانَ قَصْدُهُمْ التَّحْديثَ أَم انَّهُمُ

انْساقُوا وَرَاءَ صَرْعَةِ التَّجْريبِ، ناسينَ أَنَّهُ قَدْ يَصُبُّ في خانَةِ التَّخْريبِ..

نَبَتَ لِهذِهِ الكِتابَةِ نَقَدَةٌ، فَراحُوا يَشْرَحونَ ويُعَلِّلونَ ويُبَرِّرونَ: لِماذا القِصَّةُ القَصيرَةُ الآنَ؟ ومِنْ غَريبِ تَبْريراتِهِم أَنَّنا نَعيشُ في عَصْرِ السُّرْعَةِ ولا وَقْتَ عِنْدَ القارئِ اليَومَ لِقِراءَةِ رِوايَةٍ تَحْتاجُ قِراءَتُها إِلى عِدَّةِ أَيّامٍ، والبَديلُ مَوجودٌ، ونَقْرَؤُهُ في دَقائِقَ! وغابَ عَنْهُمْ أَنَّ الرّاحَةَ والفائِدَةَ في الشَّيءِ وضِدِّهِ؛ فَإِذا كانَ التَّعَبُ في السُّرْعَةِ فَالرّاحَةُ في الإِبْطاءِ ولا أَقَلَّ مِنْ أَنْ نَتَأَنّى ونَقْرَأَ رِوايَةً أَو قِصَّةً قَصيرَةً عادِيَّةً بَدَلَ أَنْ نُجَيِّرَ حَياتَنا وأَدَبَنا إِلى زَمَنِ السُّرْعَةِ هذا! ثُمَّ إِذا اكْتَفَينا بِقِراءَةِ هَذِهِ (البَرْقِيّاتِ) فَكَأَنَّنا نَقِفُ أَمامَ لافِتَةٍ تُشيرُ إِلى حَديقَةٍ غَنّاءَ، فَنَكْتَفي بِقِراءَتِها دونَ أَنْ نَدْخُلَها فَيَأْخُذَنا بَهارُها ونَطْعَمَ ثِمارَها..

(البقيعة / الجليل) 8/6/2016

الوُضوحُ والغُموضُ في الأَدَبِ.. (1)

قَدْ يَتَعَمَّدُ أَو يَعْتَمِدُ الكاتِبُ أَو الشّاعِرُ الغُموضَ في عَمَلِهِ الأَدَبِيِّ لاهِيًا عَنْ أَنَّهُ يَخْسَرُ شَريحَةً واسِعَةً مِنَ القُرّاءِ، أَو هذا ما أَراهُ أَنا، وما أَسْمَعُهُ مِنْ تِلْكَ الشَّريحَةِ الواسِعَةِ. فَيَكونُ بذلكَ قد حَشَرَ نَفْسَهُ في الدّائِرَةِ الأَضْيَقِ مِنَ القُرّاءِ، وعادَةً ما تَكونُ مِنَ المُثَقَّفينَ المُهْتَمّينَ بِالأَدَبِ، القادِرينَ على الغَوصِ فيما يَقْرَؤُونَ. مِنْ هُنا نَظَلُّ - نَحْنُ الأُدَباءَ – مُحاصَرينَ بِالسُّؤَالِ المَطْروحِ دائِمًا، لِمَنْ نَكْتُبُ؟ قَدْ تَكونُ الإِجابَةُ سَهْلَةً جِدًّا عِنْدَ الّذينَ لا يَهْتَمّونَ بِأَنْ يَكونَ أَدَبُهُمْ هادِفًا، فَيَجْعَلونَ مِنَ القِصَّةِ أَو القَصيدَةِ تَرَفًا كلامِيًّا، وقَدْ يَكونُ جَميلًا، ولكِنَّهُ لا يَزيدُ عَن كَونِهِ دارًا مُحْكَمَةَ التَّصْميمِ جَميلَةَ الشُّرُفاتِ والجُدْرانِ، لكِنَّها مُغْلَقَةُ الأَبوابِ والشَّبابيكِ، إِنْ قُرِعَتْ بيبانُها تَنْفَتِحْ عَنْ غُرَفٍ مُظْلِماتٍ.

لَيسَ صَحيحًا القَولُ بِأَنَّ الوُضوحَ في العَمَلِ الأَدَبِيِّ يُضْعِفُهُ، فَيَمَلُّهُ القارِئُ مِنَ القِراءَةِ الأُولى؛ وأَنَّهُ إِذا كانَ غامِضَ المَعاني، مُدَجَّجًا بالاسْتِعاراتِ يَحُثُّ القارِئَ على التَّفْكيرِ الّذي كَثيرًا ما يَكونُ على حِسابِ المُتْعَةِ المَرْجُوَّةِ

مِنَ القِراءَةِ.

وحينَ نَدْعو إلى الوُضوحِ في الأَدَبِ لا نَعْني تَسْطيحَهُ، بَلْ نَقْصِدُ ذلِكَ الأَدَبَ الواضِحَ المَعاني، الجَميلَ البِناءِ، الغَنِيَّ بِكُلِّ مُقَوِّماتِ الفَنِّ الكَلامِيِّ مِنْ سَلامَةِ اللُّغَةِ صَرْفًا ونَحْوًا، إلى انْتِقاءِ الكَلِماتِ انْتِقاءً ذَكِيًّا يُلائِمُ الشُّعورَ المُرْهَفَ، والحالَةَ الَّتي أُنْجِزَ فيها، إلى عُمْقِ المَضامينَ... لِيُصْبِحَ العَمَلُ الأَدَبِيُّ كَغَديرِ الماءِ الّذي يَخْدَعُكَ صَفاءُ مائِهِ، فَتَرى قَعْرَهُ قَريبًا مِنْ سَطْحِهِ، فَتوقِنُ بِضَحالَتِهِ، فَإِنْ خُضْتَهُ وَجَدْتَهُ يَغْمُرُكَ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ.

قَدْ نَجِدُ مَنْ لا يَتَّفِقُ مَعَنا في الرَّأْيِ، لِأَنَّ الأَدَبَ الجادَّ كالجَبَلِ الكَثيرِ الشِّعابِ، ومِنْ حَقِّ الأَديبِ أَنْ يَخْتارَ الشِّعْبَ الّذي يُريدُ، المُهِمُّ هو الوُصولُ إلى القِمَّةِ.. وما القِمَّةُ هُنا سِوى قُلوبِ القُرّاءِ.

(البقيعة / الجَليل) 15/6/2016

الوضوحُ والغُموضُ في الأَدَبِ.. (2)

لِماذا يَلْجَأُ الكاتِبُ إلى الغُموضِ في كِتابَتِهِ!؟ هَلْ يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ؟ وعِنْدَها لَيسَ مِنْ حَقِّنا أَنْ نَسْأَلَ سُؤالَنا إيّاهُ؛ فَهُوَ حُرٌّ فيما يُحِبُّ وفيما لا يُحِبُّ. أَمّا إذا كانَ يَكْتُبُ قِصَّةً أَو قَصيدَةً مَطْروحَتَينِ لِلْقارِئِ الكَريمِ، فَمِنْ حَقِّنا عَلَيهِ، ومِنْ حَقِّ الأَدَبِ عَليهِ أَنْ تَكونَ نُصوصُهُ واضِحَةً.. فَاللُّغَةُ أَوَّلًا وآخِرًا وسيلَةُ الاتِّصالِ والتَّواصُلِ بَينَ بَني البَشَرِ، فَكَيفَ يُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمَ أَحَدُنا الآخَرَ ما دامَ الغُموضُ يَقِفُ حائِلًا بَينَ الكاتِبِ / الشّاعِرِ وبَينَ المُتَلَقِّي؟ وما قيمَةُ الكِتابَةِ إِذًا، إِذا لَمْ يَفْهَمْها القارئُ، وإِذا لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ لِئَنْ تَكونَ موصِلًا جَيِّدًا لِحَرارَةِ أَفْكارِ الكاتِبِ وأَحاسيسِهِ إِلى عَقْلِ وقَلبِ قارِئِهِ؟

وإِذا اتَّفَقْنا جَدَلًا على أَنَّ مِنْ أَهْدافِ الكِتابَةِ المُنْعَةَ والفائِدَةَ، فَأَينَ المُتَعَةُ – بَلْهَ الفائِدَةَ – المَرْجُوَّةُ مِنْ مِتاهَةٍ أَدْخَلَنا فيها الكاتِبُ وتَرَكَنا نَتَخَبَّطُ في دَهاليزِها مِنْ غَيرِ بُقْعَةِ ضَوْءٍ تَبْعَثُ في نُفوسِنا أَمَلَ الاهْتِداءِ إِلى سَبيلٍ بَيِّنٍ يُخْرِجُنا مِمّا نَحْنُ فيهِ.

لا يَكْفي – وهذا ما أَعْتَقِدُهُ – أَنْ نَقْرَأَ صُوَرًا شِعْرِيَّةً جَميلَةً، في القَصيدَةِ، أَو جُمَلًا مُدَبَّجَةً تَدْبيجَ صانِعٍ ماهِرٍ في القِصَّةِ مِنْ غَيرِ أَنْ تَحْمِلَ لَنا مَضْمونًا ما، ولا يَهُمُّ بَعْدَها إِنْ أَرْضانا أَمْ أَغْضَبَنا ذاكَ المَضْمونُ المَطْروحُ في المادَّةِ الأَدَبِيَّةِ.

يَبْطُلُ السُّؤالُ عَنْ شاعِرٍ ما، أَو كاتِبٍ ما، لِماذا أَصْبَحَ مَرْغوبًا ومَقْروءًا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَصِدْقُهُ ووُضوحُهُ وقُدُراتُهُ الكِتابِيَّةُ ونُصوصُهُ الرَّاقِيَةُ أَوصَلَتْهُ إِلى وِجْدانِ القارئِ بِالطَّريقَةِ الأَقْصَرِ والأَبْهَجِ بَينَ إِنْسانٍ أَصْبَحَتِ القِراءَةُ عِنْدَهُ إِدْمانًا، وبَينَ كاتِبٍ الكِتابَةُ عِنْدَهُ إِكْسيرُ حَياتِهِ.!

ولَعَلَّ مَقولَةَ أَبي تَمّامٍ (حَبيب بن أَوس الطّائِيّ 788م – 845م) وكانَ مُغْرِبًا في شِعْرِهِ حينَ سُئِلَ: لِمَ تَقولُ ما لا يُفْهَمُ؟ فَقالَ: بَلْ لِمَ لا تَفْهَمونَ ما يُقالُ!؟ قَدْ كانَتْ ضالَّةً مُضِلَّةً لِنَقَدَةٍ لَمْ يَقِفُوا عِنْدَ أَبْعادِها، وتَوارَثوها جيلًا بَعْدَ جيلٍ، مُدَّعينَ أَنَّ إِغْرَابَ أَبي تَمّامٍ بِدايَةُ التَّجْديدِ في القَصيدَةِ العَرَبِيَّةِ!

(البُقيعة / الجَليل) 21/6/2016

الوُضوحُ والغَموضُ في الأَدَبِ.. (3)

الوُضوحُ في الأَدَبِ لا يَعْني التَّنازُلَ عَنْ فَنِّيَّتِهِ كما يَعْتَقِدُ البَعْضُ؛ كما أَنَّ الغُموضَ فيهِ لا يُكْسِبُهُ فَنِّيَّةً إِذا لَمْ يَحْمِلْ جيناتِ الفَنِّ أَصْلًا.. ولِذا فَهْيَ قَضِيَّةٌ قَدِ بُتَّ فيها عِنْدي بِانْحِيازي العَلَنيِّ إِلى الوُضوحِ في الأَدَبِ، خاصَّةً الشِّعْرَ، وأَتَساءَلُ: كَيفَ يُمْكِنُ لِإِنْسانٍ أَنْ يَحْفَظَ نَصًّا دونَ أَنْ يَفْهَمَهُ؟ لِأَنَّ الفَهْمَ يَفْتَحُ الطَّريقَ إِلى الحافِظَةِ فَتَخْزِنُ ما يَصِلُها مِمّا نُريدُ حِفْظَهُ. أَمّا إِذا لَمْ يَعُدْ لِحِفْظِ الشِّعْرِ مَكانٌ في ثَقافَةِ الفَرْدِ، فَهذا أَمْرٌ لا يَدْخُلُ فيما أَعْنيهِ، وآسَفُ إِذا وَصَلَ بِنا الأَمْرُ إِلى هذا الحَدِّ، خاصَّةً وقَدْ أُلْغِيَ دَرْسُ المَحْفوظاتِ مِنْ مَناهِجِ التَّدْريسِ في مَدارِسِنا العَرَبِيَّةِ.

إِنَّ مُتْعَةَ الشِّعْرِ في فَهْمِهِ، والإِبْحارِ فيما وَراءَ الكَلامِ. قالَ أَحَدُ الشُّعَراءِ مُفْتَخِرًا (لَمْ أَهْتَدِ صاحِبَ البَيتِ، وأَعْتَقِدُ أَنَّهُ حاتِمُ الطّائِيُّ):

فَإِنْ يَكُ فِيَّ مِنْ عَيبٍ فَأَنّي
جَبانُ الكَلْبِ مَهْزولُ الفَصيلِ

هذا الكَلامُ البَسيطُ والواضِحُ يَحْمِلُ بَينَ كَلِماتِهِ المَعْنى

الجَميلَ المُعَبَّرَ عَنْهُ بِفَنِّيَّةٍ راقيةٍ؛ فَهْوَ يَبْدأُ بِمَدْحٍ بِما يُشْبِهُ الذّمَّ، ثُمَّ يَكْني بِكِنايَتَينِ الأولى: (جَبانُ الكَلْبِ) وهي كِنايَةٌ عَنِ الكَرَمِ، لِأَنَّ كَلْبَهُ أَلِفَ كَثْرَةَ الدّاخِلينَ والخارِجينَ مِنْ عِنْدِهِ، ومِنْ عادَةِ الكَلْبِ أَنْ يَنْبَحَ الغُرَباءَ فَقَطْ. وتَأْتي الكِنايَةُ الثّانِيَةُ (مَهْزولُ الفَصيلِ) لِتُؤَكِّدَ الأُولى، فابْنُ النّاقَةِ لا يَشْبَعُ مِنِ حَليبِها فَأَصابَهُ الهُزالُ لِأَنَّ هذا الحَليبَ يَذْهَبُ لِلضّيفِ.

قَدْ نَأْتي بِآلافِ الأَمْثِلَةِ، وحُقَّ لَنا أَنْ نَفْتَخِرَ بِما عِنْدَنا، وإِذا كانَ لا بُدَّ مِنْ تَطْويرِ قَصيدَتِنا - وهذا أَمْرٌ مَشْروعٌ – فَلْيَكُنِ التَّطْويرُ بِما تَقْتَضيهِ الذّائِقَةُ العَرَبِيَّةُ، خاصّةً وأَنَّ لِكُلِّ عَصْرٍ مَفاهيمَهُ الّتي تَعْمَلُ على عَصْرَنَتِهِ؛ فَلْنُعَصْرِنْ أَدَبَنا ولكِنْ مِنْ داخِلِهِ لِيَظَلَّ يُشْبِهُنا.. ولا عَيبَ في ذلِكَ..!

(البُقَيعة / الجليل) 29/6/2016

الشُّهْرَةُ..

لا أَزالُ أَذْكُرُ كَمْ كانَتْ فَرْحَتي وأَنا في الصَّفِّ الأَوَّلِ بَينَ أَتْرابي عِنْدَما مَرَّ اسمي في دَرْسٍ تَعَلَّمْناهُ، في جُمْلَةٍ لا أَزالُ أَذْكُرُها إِلى اليومِ وهيَ: حُسَينٌ طَبيبٌ مَشْهورٌ.. ومِنْ يَومِها أَفْهَمَنا المُعَلِّمُ أَنَّ حُسَينًا هذا طَبيبٌ حاذِقٌ في صَنْعَتِهِ الَّتي هي الطِّبُّ؛ ولِذا يَأْتيهِ النّاسُ في عِيادَتِهِ مِنْ قَريبٍ وَمِنْ بَعيدٍ فَأَصْبَحَ مَعْروفًا عِنْدَ الكَثيرينَ؛ أَي أَصْبَحَ مَشْهورًا. فالشُّهْرَةُ بِهذا المَعْنى تَكونُ مَشْروعَةً،وتَجْلُبُ الرِّفْعَةَ لِصاحِبِها. وتَفْقِدُ مَعْناها تَمامًا إِذا سَخَّرَها البَعْضُ لِلتَّفاخُرِ والاسْتِعْلاءِ على أُناسٍ هُوَ واحِدٌ مِنْهُمْ، أَو لِلتَّنَكُّرِ لِأَصْدِقاءِ الصِّبَا والشَّبابِ، والتَّقَرُّبِ مِمَّنْ يَراهُمْ أَهْلًا لِصَداقَتِهِ بَعْدَما وَصَلَ إِلى ما وَصَلَ إِلَيهِ.

المَشْهورُ، إِذًا، هو ذاكَ الحاذِقُ في مِهْنَتِهِ، ولا فَرْقَ إِنْ كانَ موسيقِيًّا أَو شاعِرًا أَو كاتِبًا أَو رَسّامًا أَو حَدّادًا أَو نَجّارًا.... أَو حَتَّى صانِعَ سِلالٍ، لَيسَ إِقْلالًا مِنْ شَأْنِهِ وإِنَّما نورِدُهُ بَعْدَ حَتّى لِلسُّهولَةِ ولِلْمَحْدودِيَّةِ الإِبْداعِيَّةِ في صَنْعَتِهِ.

يَقولُ الكاتِبُ التّشيكيُّ الأَصْلِ الفَرَنْسِيُّ الشُّهْرَةِ (ميلانو كونديرا 1929م -): يُصْبِحُ الإنْسانُ مَشْهورًا عِنْدَما يَتَخَطّى، بِشَكْلٍ مَلْحوظٍ، عَدَدُ الّذينَ يَعْرِفونَهُ عَدَدَ الّذينَ يَعْرِفُهُمْ.

أَمّا الحَكيمُ كونْفوشْيوس (الصّين 551 ق.م – 479 ق.م) فَقَدْ كانَ أَكْثَرَ بَلِ الأَكْثَرَ تَواضُعًا حينَ قالَ: أَنا لَسْتُ حَزينًا لِأَنَّ النّاسَ لا تَعْرِفُني؛ ولكِنَّني حَزينٌ لِأَنَّني لا أَعْرِفُهُمْ.

وكَثيرًا ما يَكونُ المَصْنوعُ أَكْثَرَ شُهْرةً مِنْ صانِعِهِ، والأَمْثِلَةُ كَثيرَةٌ؛ ولكِنْ سَأُورِدُ مِثالاً لِاعْتِقادِي بِأَنَّهُ سَيُمَتِّعُ القارِئَ الكَريمَ ويُفاجِئُهُ، فَكُلُّنا نَسْمَعُ المُغَنِّي العِراقي المُلْهَمَ يَتَرَنَّمُ بِصَوتِهِ العَذْبِ بِبَيتَينِ مِنَ الشِّعْرِ العَذْبِ هُما:

مُذْ جاءَ يَضْرِبُ بِالنّاقوسِ قُلْتُ لَهُ
مَنْ عَلَّمَ الظَّبْيَ ضَرْبًا بِالنَّواقيسِ
وقُلْتُ لِلنَّفْسِ أَيُّ الضَّربِ يُؤْلِمُكِ
ضَرْبُ النَّواقيسِ أَمْ ضَربُ النَّوى.. قيسي

إِنَّهُما لِلْعَلاّمَةِ المِصْرِيِّ رِفاعَة رافع الطَّهْطاوي (1801م – 1873م).. وكانَ في إِحْدى سَفَراتِهِ في

مَدينَةِ مِسّينَة / إيطاليا.. اسْتِيقَظَ صَباحًا على صَوتِ نَواقيسِ الكَنيسَةِ تُضْرَبُ، وكانَ يُحْسِنُ قَولَ الشِّعْرِ، فَقالَ ما قالَ.

(البُقَيعة / الجليل) 13/7/2016

النُّجومِيَّةُ..

الَّذينَ يَلْهَثونَ وَراءَ النُّجومِيَّةِ مِنَ الفَنّانينَ على اخْتِلافِ مِجالاتِهِمْ، تَراهُمْ لا يَقْنَعونَ بِما وَصَلوا إِلَيهِ، فَيَجِدّونَ في البَحْثِ عَنْ طُرُقٍ تُمَكِّنُهُمْ مِنَ التَّفَوُّقِ على غَيرهِمْ، وكَأَنَّ السّاحَةَ الفَنِّيَّةَ ثَوبٌ فُصِّلَ على مَقاسِهِمْ. وهُنا يَبْدَأُ البَحْثُ عَنْ طُرُقٍ تُوصِلُهُمْ إِلى الهَدَفِ الّذي يَنْشُدونَهُ؛ مِنْ هذِهِ الطُّرُقِ الاسْتِفادَةُ منْ شُهْرَتِهِمْ في لَفْتِ الأَنْظارِ، كُلِّ الأَنْظارِ، إِلَيهِمْ، وقَدْ نَعْذِرُهُمْ لَو اكْتَفَوا بِذلكَ؛ ولَكِنْ أَيُّ عُذْرٍ لهُمْ إِذا جَعَلوا (الأَنا) جَرّافَةً عَمْياءَ صَمّاءَ تَجْرِفُ كُلَّ مَنْ/ ما يَعْتَرِضُ طَريقَها، ولا تَهُمُّ الوَسيلَةُ ما دامَتْ سَتوصِلُهُم إِلى مُبْتَغاهُمْ.. وأَيُّ عُذْرٍ لَهُمْ حينَ يَتَقَرَّبونَ مِنْ أَصْحابِ النُّفوذِ مِنَ السِّياسِيّينَ والإِعْلامِيّينَ كي يَضْمَنوا ظُهورَهُم في كُلِّ المُناسَباتِ؛ مُعْتَقِدينَ أَنَّ ذلكَ يوصِلُهُم إِلى قُلوبِ المَلايينِ، وغابَ عَنْ بَصائِرِهِمْ أَنَّ غالِبِيَّةَ هذه المَلايينِ أَكْثَرُ ما يَهُمُّها هو رَغيفُ الخُبْزِ، فَإِذا تَوَفَّرَ لَهُمْ بَحَثوا عَنْ أُغْنِيَّةٍ أَو قَصيدَةٍ أَو... أَو... تَبْعَثُ الفَرَحَ في قُلوبِهِمْ، وتُعيدُ الأَمَلَ إِلى نُفوسِهِمِ القانِطَةِ فَيَتَجَدَّدُ إِقْبالُهُمْ

على الحَياةِ وتَعودُ الذَاكِرَةُ لِتُؤَكِّدَ أَنَّ العَدالَةَ الاجْتِماعِيَّةَ لا بُدَّ حاصِلَةٌ.

ولا شَكَّ أَنَّ الَّذينَ وراءَ هذا النَّجمِ أَو ذاكَ لَهُمْ غايَةٌ مِنْ دَعْمِهِ ما أَشْبَهَها بِغايَةِ القَبيلَةِ مِنْ شاعِرِها، هذا إِذا كانَ النَّجْمُ شاعِرًا، أَمّا إِذا كانَ مُغَنِّيًا أَو مُمَثِّلًا، مَثَلًا، فالغايَةُ الأُولى هي الرِّبْحُ المادِّيُّ، وكَمْ يَدِرُّ العَمَلُ الفَنِّيُّ مِنَ المَلايينِ في جَيبِ مُنْتِجِهِ. أَمّا مَأْساةُ النَّجْمِ فَتَبْدَأُ بِقَلَقِهِ الدّائِمِ وتَنْتَهي بِحَجْبِ الأَضْواءِ عَنْهُ، ويَكونُ ذلكَ إِمّا بِعَدَمِ تَحْقيقِ الأَرْباحِ الّتي عَوَّدَ المُنْتِجَ عَلَيها وإِمّا بِتَقَدُّمِهِ بِالسِّنِّ لِيَحِلَّ مَحَلَّهُ نَجْمٌ شابٌّ.. وكَثيرًا ما تُؤَدّي هذِهِ المُحَصِّلَةُ بِبَعْضِهِمْ إِلى حالَةٍ مِنَ الاكْتِئابِ الشّديد وتكون ُالطَّريقَ السَّريعَ إِلى الإِنْتِحار..!

(البقيعة / الجليل) 20/7/2016

الجوائِزُ الأَدَبِيَّةُ..

سُؤالٌ مُربِكٌ حَقًّا! هلِ الجَوائِزُ الأَدَبِيَّةُ تُعْطَى لِمَنْ يَسْتَحِقُّها فِعْلًا؟ أَمْ هُنالِكَ اعتِباراتٌ أُخْرى تَجْعَلُ الجِهَةَ المانِحَةَ تَمْنَعُ أَو تَمْنَحُ الجائِزَةَ لأَديبٍ ما دونَ غَيرِهِ!؟ وقد يَكونُ على رَأْسِ هَذِهِ الاعتِباراتِ المُنْتَمى السِّياسيُّ لِهذا الأَديبِ أُو ذاكَ.. هُنالِكَ مَنْ يُؤَكِّدُ نَزاهَتَها، وهُنالِكَ مَنْ يُؤَكِّدُ افْتِقارَها إِلى النَّزاهَةِ لِأَنَّ وراءَ كُلِّ جائِزَةٍ لَجْنَةُ تَحْكيمٍ، أَعضاؤُها أَوَّلًا وآخِرًا بَشَرٌ، ولِكُلِّ فَردٍ مِنْهُمْ ذائِقَةٌ تَخْتَلِفُ عن ذائِقَةِ الآخَرِ. وأَكْبَرُ شاهِدٍ على ذلكَ حصولُ الكاتِبِ الفَرَنْسيّ/الجَزائِرِيّ أَلبير كامو (1913م – 1960م) على جائِزَةِ نوبل سَنَةَ 1957م، بِفارِقِ صَوتٍ واحِدٍ بَينَهُ وبَينَ الكاتبِ اليونانيّ المُبْهِرِ نيكوس كازِنتزاكيس (1883م – 1957م) الّذي قُدِّمَ لَها بِنَفْسِ السَّنَةِ. والمُدْهِشُ حَقًّا ما كَتَبَهُ البير كامو بِشَجاعَةٍ قَلَّما نَجِدُها بَينَ الأُدَباءِ إِلى إيليني كازَنتزاكي (زوجَة كازَنتزاكيس) جاءَ فيها:«لقدْ كُنْتُ أُكِنُّ الكثيرَ مِنَ الإِعْجابِ و – إِذا أَجَزْتِ لي – نوعًا مِنَ المَوَدَّةِ لِآثارِ زَوجِكِ، ولا أَنْسَيَنَّ

يومًا بِعَينِهِ، كُنْتُ أَسِفْتُ فيهِ على نَيلي جائِزَةَ نوبل كانَ كازَنْتزاكيس يَسْتَحِقُّها أَكْثَرَ بِمِئَةِ مَرَّةٍ».

السُّؤَالُ المُربِكُ الثّاني هو: مَنِ الرّابِحُ الحقيقي في هذا البابِ، أَهو مانِحُ الجائِزَةِ أَم الأَديبُ الّذي مُنِحَ الجائِزَةَ!؟ خاصَّةً إِذا كانَ هذا الأَخيرُ مَعْروفًا عَرَبِيًّا وعالَمِيًّا ؛ قَدْ نَسْتَدِلُّ على جوابِ هذا السُّؤَالِ المُربِكِ بِسُهولَةٍ إِذا انْتَبَهْنا لِأَمْرِ الجائِزَةِ وفَصَلْنا رِبْحَها المادِّيَّ عنْ رِبْحِها المَعْنَويِّ الّذي يُصْبِحُ من حَقِّ المانِحِ صاحِبِ الجائِزَةِ وقَدْ خَصَّصَها أَصْلًا لِيُخَلِّدَ اسمَهُ مَقرونًا بِأَسْماءِ المَشْهورينَ مِنَ الأُدَباءِ.

هُنالِكَ أُدَباءٌ رَفَضوا جَوائِزَ مُنِحَتْ لَهم، نذْكُرُ مِنْهم الكاتِبَ والفيلسوف َ جان بول سارتَر (1905م – 1980م) الّذي رَفَضَ جائِزَةَ نوبل سَنَة (1964م) لِعِدَّةِ أَسْبابٍ، نَذْكُرُ واحِدًا مِنْها، وهو أَصْدَقُها إِذْ « كانَ يَخافُ أَنْ تُدْفَنَ أَعْمالُهُ وقَلَمُهُ حَيًّا، وأَنْ لا يَكْتُبَ بِحُرِّيَّةٍ مَرَةً أُخْرى».

أَعْتَقِدُ أَنَّ تَكْريمَ الدُّولِ لِأُدَبائِها يَظَلُّ الأَكْثَرَ شَرَفًا وَرِفْعَةً لَهُم!!

(البقيعة / الجليل) 27/7/2016

الأُسْلوبُ..

لِماذا يَميلُ القارِئُ الكَريمُ إلى قِراءَةِ مادَّةٍ في جَريدَةٍ ما دونَ غَيرِها مِنَ المَوادِّ المَنْشورَةِ في نَفْسِ الجَريدَةِ؟ سُؤَالٌ يَأْخُذُنا إلى حافَّةِ الْإِجابَةِ المُحَدَّدَةِ لا إلى مَرْكِزِها، فالذائِقَةُ البَشَرِيَّةُ تَخْتَلِفُ مِنْ شَخْصٍ لِآخَرَ، لِأَنَّ الرَّغَباتِ والمُيولَ لا تُحَدَّدُ بِقَوانينَ ثابِتَةٍ وهي المُتَقَلِّبَةُ دائِمًا.. ولكِنْ عِنْدَما تَأْخُذُ ثَقافَةُ القارِئِ أَبْعادَها الأُفُقِيَّةَ والعَمودِيَّةَ الأَبْعَدَ والأَعْمَقَ، تُصْبِحُ الإِجابَةُ على سُؤَالِنا أَسْهَلَ، ويُصْبِحُ بِمَقْدورِهِ – أَي القارِئِ - أَنْ يَضَعَ إِصْبَعَهُ على جَمالِيَّاتٍ في النَّصِّ لَمْ يَكُنْ يَقِفُ عِنْدَها من قَبْلُ ؛ ويُصْبِحُ بِمَقْدورِهِ أَيضًا أَنْ يُمَيِّزَ بَينَ لُغَةٍ وأُسْلوبِ كاتِبٍ وآخَرَ.

الكاتِبُ الحَريصُ على أَنْ يَكونَ مَقْروءًا ومَحْبوبًا هو ذاكَ الّذي يَجْعَلُ مِنْ لُغَتِهِ لُغَةً طَيِّعَةً حَيَّةً بَعيدَةً عن كليشِيهاتٍ لُغَوِيَّةٍ سَكَنَتْ لُغَتَنا العَرَبِيَّةَ الجَميلَةَ ولا تَزالُ تَمامًا كَما يَسْكُنُ السّوسُ في الخَشَبِ! فالتَّعْبيرُ (أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيهِ وشَرِبَ) مَثَلًا، لا يَضُرُّ بِالنَّصِّ ولا بِكاتِبِهِ، ولكِنْ بِماذا يَنْفَعُهما وهو المُعادُ والمُكَرَّرُ آلافَ بلْ عَشَراتِ

آلافِ المَرّاتِ! وأَنا هُنا لا أَنْفي الاتِّكاءَ على اقْتِباساتٍ يَخْتارُها الكاتِبُ بِعِنايَةٍ بِهَدَفِ إِغْناءِ النَّصِّ بِقَدْرِ ما أَنْفي الإِكثارَ مِنْها.

واللُّغَةُ وَحْدَها لا تَكْفي لِكَسْبِ وُدِّ القارِئِ النَّبيهِ، فَهُناكَ الثَّقافَةُ الشُّمولِيَّةُ، وهُناكَ ابتِكارُ المَعاني، وهُناكَ الذَكاءُ في اختِيارِ مواضيعَ تَهُمُّ القارِئَ العادِيَّ وغَيرَ العادِيِّ على حَدٍّ سَواءٍ.. ولا يَهُمُّ إِذا كانَتِ الموادُّ المُعالَجَةُ أَدَبِيَّةً أَو عِلْمِيَّةً، مَعَ التَّأْكيدِ على أَنَّ المَوادَّ العِلْمِيَّةَ هي الامتِحانُ الأَصْعَبُ لِلْكاتِبِ، ولَنْ يكونَ مَقْروءًا إِذا لَمْ يَكُنْ ذا أُسْلوبٍ مُحَبَّبٍ مُعْتَمِدٍ على سَلاسَةِ التَّراكيبِ اللُّغَوِيَّةِ لِتَكونَ أَبْعَدَ ما تَكونُ عَن تَدْبيجِ الكَلامِ واللُّغَةِ المُرَكَّبَةِ المُثْقَلَةِ بالمُحَسِّناتِ اللُّغَوِيَّةِ في غَيرِ مَواقِعِها.

شُكْراً لِكاتِبٍ شَدَّنا بِأُسْلوبِهِ الرّاقي إِلى المَكْتَباتِ لِنَنْفُضَ الغُبارَ عَنْ كِتابٍ نَبْتاعُهُ لِكَي نَقْرَأَهُ..!

(البقيعة / الجليل) 3/8/2016

المُطالَعَةُ..

قَدْ نَجْعَلُ المُطالَعَةَ عادَةً إذا داوَمنا على القِراءَةِ يَومِيًّا، وما دُمْنا نَعيشُ في عَصْرٍ يُعَرَّفُ بِعَصْرِ السُّرْعَةِ، فَلْتَكُنْ المُطالَعَةُ في أَيّامِ العُطُلاتِ أَو حَتى في فَتَراتِ النَّقاهَةِ.. ولا عُذْرَ بَعْدَ ذلكَ لِشَخْصٍ يّدَّعي بِأَنْ لا وَقْتَ عِنْدَهُ لِقِراءَةِ كِتابٍ. المُهِمُّ أَنْ نوقِظَ الرَّغْبَةَ النّائِمَةَ فينا مَقْرونَةً بِإِدْراكِنا لِدَوْرِ الثَّقافَةِ وقيمَتِها لِلْإِنْسانِ المُعاصِرِ الَّذي لا يَجِبُ أَنْ يَكْتَفي بِما تُقَدِّمُهُ الميدْيا الحَديثَةُ، مَشْكورَةً، فَتَبْقى ثَقافَتُهُ مَنْقوصَةً إذا لَمْ يَرْجِعْ إلى مَصادِرِها لِتَعْويضِ ما نَقَصَ عَليهِ.. ولَيسَ خافِيًا على القارِئِ الكَريمِ ما نَرمي إِلَيهِ؛ فالكِتابُ الوَرَقِيُّ سَيَظَلُّ صاحِبَ الجَلالَةِ في حَياتِنا الثَّقافِيَّةِ، وسَتَظَلُّ دورُ النَّشْرِ والمَكْتَباتُ عامِرَةً بِالرَّغْمِ مِنَ انْحِسارِ مَدِّها.. وسَتَظَلُّ كَذلكَ مادامَ هُناكَ أَصْحابَ دُورِ نَشْرٍ، وأَصحابَ مَكْتَباتٍ يُدْرِكونَ الخِدْمَةَ الجُلّى الّتي يُقَدِّمونَها لَنا.

تَتَعَدَّدُ طُرُقُ القِراءَةِ بِتَعَدُّدِ القُرّاءِ وأَبْعادِهِمْ الثَّقافِيَّةِ. فالقِراءَةُ العادِيَّةُ، وأَكْثَرُ ما تَكونُ عِنْدَ القُرّاءِ العادِيّينَ،

تَتِمُّ مِنْ أَجْلِ اكتِسابِ المُتْعَةِ ومِنْ ثَمَّةَ الفائِدَةِ، وهذِهِ تَكونُ بِقِراءَةِ الرِّواياتِ والقِصَصِ والشِّعْرِ على أَهَمِّيَّتِها! نورِدُها هُنا لَيسَ لِلتَّقْليلِ مِنْ شَأْنِها وشَأْنِ كُتّابِها بِلْ لِلتَّفريقِ بَيْنَ قِراءَتِها، وبَينَ قِراءَةِ الدِّراساتِ العِلْمِيَّةِ والتّاريخِيَّةِ والنَّقْدِيَّةِ الّتي تَتَطَلَّبُ مِنّا جُهْدًا أَكْبَرَ، وتِرْكيزًا أَعْمَقَ، ووَقْتًا أَطْوَلَ ومَكانًا أَكْثَرَ هُدوءًا.

أَمّا في المَراحِلِ المُتَقَدِّمَةِ في فَنِّ القِراءَةِ.. أَجَلْ في فَنِّ القِراءَةِ! فَإِلى جانِبِ العَينِ الَّتي تَقْرأُ يدٌ تَمْسِكُ بِقَلَمٍ كَي تُسَجِّلَ مُلاحَظاتٍ وإِشاراتٍ وخُطوطًا تَحْتَ الأَسطُرِ أَو في هَوامِشِ الصَّفَحاتِ المَقْروءَةِ وذلكَ لِلْعَودَةِ إِلى قِراءَتِها أَو مُراجَعَتِها عِنْدَ الحاجَةِ إِليها. هذِهِ هي القِراءَةُ المُثْلى لِاسْتيعابِ بَعْضِ حَضارَتِنا البَشَرِيَّةِ الَّتي كُلَّما قَرَأْنا كِتابًا أَعْطانا بَعْضًا مِنْها..

لَقَدْ قيلَ الكَثيرُ في مَدْحِ الكِتابِ، ولا نَكونُ مُبالِغينَ إِنْ قُلْنا بِأَنَّهُ رَغْمَ الميديا الحَديثَةِ سيظَلُّ الحارِسَ الأَمينَ على حَضارَتِنا البَشَرِيَّةِ.

(البُقَيعة / الجَليل) 11/8/2016

عَنِ القِراءَةِ والكِتابَةِ والميديا..!

لَيسَ غَريبًا إذا سَمِعْنا أَحَدَهُمْ يقولُ: قَدْ تَعَلَّمْتُ القِراءَةَ والكِتابَةَ على يَدي المُعَلِّمِ الفُلانِيِّ.. فَقَدَّمَ القِراءَةَ على الكِتابَةِ لَيسَ إِقْلالًا مِنْ شَأْنِ الكِتابَةِ، ولكِنْ بِما أَمْلَتْهُ عليهِ الذَاكِرَةُ الجَمْعِيَّةُ الَّتي لا تَخْزِنُ الهامَّ مِنَ الأُمورِ فَقَطْ بَلْ تُرَتِّبُها حَسَبَ أَهَمِّيَّتِها في حَياتِنا.. فَهَلِ القِراءَةُ أَهَمُّ مِنَ الكِتابَةِ؟! لا.. ونَعَمْ! لا لِأَنَّ القِراءَةَ والكِتابَةَ وجْهانِ لِعُمْلَةٍ واحِدَةٍ؛ فَمَنْ تَعَلَّمَ القِراءَةَ تَعَلَّمَ مَعَها لَفْظَ الحُروفِ ورَسْمَها أَي كِتابَتَها.. وقَولُنا نَعَمْ لِأَنَّ الكِتابَةَ تَنْحَسِرُ رُقْعَتُها بَعْدَ إِتْقانِها لِتُصْبِحَ مَهارَةً مُدَّخَرَةً عِنْدَ النّاسِ، لا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا عِنْدَ الحاجَةِ إِلَيها، وتُصْبِحَ حِرْفَةً عِنْدَ الصَّحَفِيّينَ والأُدَباءِ.. أَمَّا القِراءَةُ فَتَتَّسِعُ رُقْعَتُها لِتُصْبِحَ عادَةً يَومِيَّةً عِنْدَ جَميعِ النَّاسِ! أَسْتَدْرِكُ فَأَقولُ: مِنَ المَفْروضِ أَنْ تُصْبِحَ عادَةً يَومِيَّةً عِنْدَ جَميعِ النّاسِ!!

ما أَسْعَدَ الأُمَّةَ الّتي عَرَفَتْ طَريقَها إِلى الكِتابِ! فَحَصَّنَتْ فَرْدَها بِالمَعْرِفَةِ.. وجَمَّلَتْهُ بِما حَمَّلَتْهُ مِنْ ثَقافَةٍ اجْتَناها مِنَ الكُتُبِ المُتَوَفِّرَةِ في المَكْتَباتِ العامَّةِ والخاصَّةِ

تَمامًا كَأَرْغِفَةِ الخُبْزِ في المَخابِزِ يَؤُمُّها النّاسُ فَيَشْتَرونَها كَضِرورَةٍ حَياتِيَّةٍ.. لا تَرَفًا أَرُسْتُقْراطِيًّا يُزَيِّنونَ بِهِ رَدَهاتِ قُصورِهِمْ!

قَدْ نَجِدُ مَنْ يَعْتَرِضُ على ما نَقولُ، خاصَّةً وأَنَّ الميديا أَو (الإِعْلامُ الحَديثُ) بِتَعَدُّدِ أَنْواعِها وأَشْكالِها، قَدْ أَراحَتِ الإِنْسانَ المُعاصِرَ مِنْ عَناءِ الكِتابَةِ بِالقَلَمِ على الوَرَقِ، وجَعَلَتْها نَقْرًا بالإِصْبَعِ على مَفاتيحِ الآلَةِ الطّابِعَةِ؛ كَما جَعَلَتْ قِراءَةَ المَطْبوعاتِ الوَرَقِيَّةِ نَسْيًا مَنْسِيًّا تَقْريبًا! ذلكَ لِما تُقَدِّمُهُ مِنْ بَرامِجَ ثَقافِيَّةٍ في شَتَّى المَجالاتِ صَوتًا وصورَةً.. لِهَؤُلاءِ نَقولُ: لَيتَ الأَمْرَ كانَ كَذلِكَ! لَكُنَّا نَحْنُ الّذينَ نَحُثُّ على عَدَمِ التَّخَلِّي عَنِ الكِتابِ والكِتابَةِ اليَدَوِيَّةِ، قَدِ ارتَحْنا مِنْ تَدْبيجِ الكَلامِ وَأَرَحْنا القارِئَ الكَريمَ مِنْ ثِقْلِ ما يَسْمَعُهُ مِنّا صَباحَ مَساءَ!

لَيسَ مَنْ يَطْعَمُ قِطْعَةً صَغيرَةً مِنَ الحَلوى قَبْلَ شِرائِها كَمَنْ يَأْكُلُ مِنْها حَتّى الشَّبَعِ!! حَتّى مُعِدّو البَرامِجِ في الميديا الحَديثَةِ يُنْهُونَ بَرامِجَهُم بِخِطابٍ مُوَجَّهٍ إِلى المُشاهِدينَ أَنْ عُودُوا إِلى المَكْتَباتِ إِذا أَرَدْتُمُ المَعْرِفَةَ تامَّةً!

بَدَهِيٌّ القَولُ: إنَّ نِصْفَ المَعْرِفَةِ تَبْني فَرْدًا نِصْفَ مُثَقَّفٍ، والمَعْرِفَةَ غَيرَ المَنْقوصَةِ تَبْني مُثَقَّفًا كامِلًا! ونَحْنُ لا نُريدُ أَنْ نَبْني مُجْتَمَعَ أَنْصافِ مُثَقَّفينَ.

(البقيعة/الجليل) 17/8/2016

لُغَتُنا العَرَبِيَّةُ..

كَثُرَ الباحِثونَ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في الآوِنَةِ الأَخيرَةِ الّذينَ يَحُطُّونَ مِنْ قُدْرَتِها على أَنْ تَكونَ حَيَّةً فَتُواكِبَ رَكْبَ اللُّغاتِ الأُخْرى مِنْ حيثُ اسْتيعابُ روحِ العَصْرِ، فلا تَظَلُّ أَسيرَةَ تَعابيرَ وأَساليبَ تَحَجَّرَتْ بِمُرورِ الأَيّامِ.. أَحَدُ ادِّعاءاتِهِمْ أَنَّ تَرْجَمَةَ الكُتُبِ مِنَ اللُّغاتِ الأُخْرى وإِلَيها، فيها مِنَ الصُّعوبَةِ ما يُخَلْخِلُ مَضامينَ المادَّةِ المُتَرْجَمَةِ لِتُصْبِحَ هذهِ الخَلْخَلَةُ خَلْخَلَةً في المَعاني، وصُعوبَةً في فَهْمِ المَقْروءِ عِنْدَ قِراءَتِها بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.. حَتّى أَنَّ بَعْضَ القُرّاءِ مِنَ الّذينَ أَعْرِفُهُمْ صَدَّقُوا هَذِهِ الفِرْيَةَ، فَأَراهُمْ يَتْرُكونَ التَّرْجَمَةَ العَرَبِيَّةَ ويَبْحَثونَ عَنِ التَّرْجَمَةِ العِبْرِيَّةِ لِهذا الكِتابِ أَو ذاكَ.. وهُنا مِنْ حَقِّنا أَنْ نَسْأَلَ: لِمَ لا يَكونُ الخَلَلُ في المُتَرْجِمِ نَفْسِهِ ؟ خاصَّةً إِذا اعتَمَدَ في تَرْجَمَتِهِ على المَعاجِمِ فاخْتارَ المَعْنى غَيرَ المَقْصودِ مِنَ الكَلِمَةِ المُتَرْجَمَةِ عِلْمًا بِأَنَّ لِمُعْظَمِ الكَلِماتِ عِدَّةُ تِفْسيراتٍ، وقَدْ تَزيدُ على أَصابِعِ اليَدَينِ أَحْيانًا..

ومِنَ ادِّعاءاتِهِمْ أَيضًا أَنَّ لُغَتَنا العَرَبِيَّةَ عاجِزَةٌ عَنِ

اسْتيعابِ التَّعابيرِ والمُصْطَلَحاتِ اللُّغَويَّةِ والعِلْمِيَّةِ مِثْلَ باقي اللُّغاتِ الحَيَّةِ، عِلْمًا بِأَنَّها أَعْطَتِ الكَثيرَ، وأَخَذَتِ الكَثيرَ منِ لُغاتٍ تَمازَجَتْ مَعَها بِتَمازُجِ شُعوبِها بِنا غالِبينَ كُنَّا أَو مَغلوبينَ! إِذْ لَيسَ مُنْزَلا ما قالَهُ ابن خَلْدون (1332م – 1406م) بِاَنَّ لُغَةَ الأُمَّةِ الغالِبَةِ غالِبَةٌ.... قَدْ يُحَوِّلُ الغالِبُ لُغَةَ الدَّولَةِ المَغْلوبَةِ إِلى لُغَتِهِ، لكِنَّ هذا لا يُلْزِمُ النّاسَ بِمُخاطَبَةِ بَعْضِهِمْ بِلُغَةٍ فُرِضَتْ عَلَيهِمْ بَلْ يَظَلُّ التَّخاطُبُ والتَّراسُلُ بَينَهُمْ بِلُغَتِهِمْ هُمْ، ولا يَضيرُ اللُّغَةَ أَيًّا كانَتْ، دُخولُ كَلِماتٍ دَخيلَةٍ عَلَيها.. فَلُغَتُنا العَرَبِيَّةُ أَخَذَتْ مِنَ الفارِسِيَّةِ والتُّركِيَّةِ والهِنْدِيَّةِ واليونانِيَّةِ وحَتَّى الإِيطالِيَّةِ ما كانَ ضَرورِيًّا لَها ولِلنّاطِقينَ بِها.. ما دَلَّ على دينامِيَّتِها، واتِّساعِ صَدْرِها..

أَمَّا الادِّعاءُ بِأَنَّ لُغَتَنا العَرَبِيَّةَ تُقَيِّدُ نَفْسَها بِقَواعِدِها، وبِأَوزانِ شِعْرِها، وبِمُحَسِّناتِ نَثْرِها فَهْوَ ادِّعاءٌ باطِلٌ لِأَنَّ الأَديبَ المَفْطورَ والذَّكِيَّ يَعْرِفُ كَيفَ يَتَخَطّى العَقَباتِ الَّتي قَدْ تَعْتَرِضُهُ أَثْناءَ إِنْجازِ عَمَلِهِ الإِبْداعِيِّ..

وعِنْدَما قالَ عَميدُ لُغَتِنا طه حسين (1889م -1973م): لُغَتُنا العَرَبِيَّةُ يُسْرٌ لا عُسْرٌ.. يَكونُ قَدْ فَتَحَ البابَ لِمَجامِعِ

اللُّغَةِ على اسْتيعابِ أَو تَعْريبِ أَيِّ كَلِمَةٍ أَو تَعْبيرٍ أَجْنَبِيٍّ من شَأْنِهِ تَحْديثُ اللُّغَةِ.. ولا عُذْرَ لَهُمْ إِنْ قَصَّرُوا!

(البقيعة / الجليل) 24/8/2016

العَرَبِيَّةُ المَحْكِيَّةُ..

قَدْ لا تَخْلو لُغَةٌ عالَمِيَّةٌ حَيَّةٌ مِنْ كَونِها تَنْشَطِرُ إلى لُغَتَينِ: فُصْحى وعامِّيَّةٍ، مَعَ تَفاوُتٍ بِينَ لُغَةٍ وأُخْرى في قُرْبِ أَو بُعْدِ فَصيحِها عن عامِّيِّها مِنَ الكَلامِ.. أَمّا الفُصْحى فَهي لُغَةُ القِراءةِ والكِتابَةِ، وتَكونُ مُنْقادَةً تَمامًا لِأَحْكامِ الصَّرْفِ والنَّحْوِ.. وأَمّا العامِّيَّةُ فَهْي اللُّغَةُ الَّتي يَتَخاطَبُ بِها النّاسُ كَيفَما اتَّفَقَ، بِلا ضَوابِطَ وبِلا أَحْكامٍ تُلْزِمُ المُتَحَدِّثَ مُراعاتَها أَو التَّقَيُّدَ بها..

لَيسَ مَطْروحًا لِلنِّقاشِ القَولُ بِأَنَّ اللُّغَةَ المَحْكِيَّةَ هي الابْنَةُ الشَّرعِيَّةُ لِلْفُصْحى.. خَرَجَتْ مِنْ رَحِمِها، فَتَلَقَّفَتْها القابِلَةُ /الحَياةُ فَأَلْبَأَتْها لُغَتَها هي، لا لُغَةَ أُمِّها.. وهَلْ لُغَةُ أُمِّها سوى لُغَةٍ سُطِّرَتْ بِها صَفَحاتُ أُمَّهاتِ كُتُبِنا الأَدَبِيَّةِ مِن شِعْرٍ وَنَثْرٍ، وتُوِّجَتْ بِالقُرْآنِ الكَريمِ إِذْ جاءَنا بَيانًا وإِعْجازًا؟!

ومِمّا ساهَمَ في ابتِعادِ اللُّغَةِ المَحْكِيَّةِ عنِ الفُصْحى تَعَدُّدُ اللَّهَجاتِ في اللُّغَةِ الواحِدَةِ، فَتَمازُجُ العَرَبِيَّةِ بالأَمَزيغِيَّةِ في دُوَلِ شَمالِ أَفريقيا مَثَلًا، أَنْتَجَ عَرَبِيَّةً لا يَفْهَمُها – تَقْريبًا

– سِوى سُكّانِ تِلْكَ الدُّوَلِ في تَخاطُبِهِمْ مَعَ بَعْضِهِمْ ؛ فَإِذا تَعامَلوا مَعَ اللُّغَةِ كِتابَةً عادُوا إِلى الفُصْحى لِيَتَواصَلوا مَعَ سُكّانِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ الأُخْرى ؛ وقَدْ نَلْمَسُ الشَّيءَ ذاتَهُ عِنْدَ سُكّانِ دُوَلِ الخَليجِ والجَزيرَةِ العَرَبِيَّةِ وإِرِّتْرِيا والسّودانِ.. لِتَظَلَّ المَحْكِيَّةُ عِنْدَ سُكّانِ ما عُرِفَ تاريخِيًّا بِسورْيا الكُبْرى هي الأَقْرَبُ إِلى اللُّغَةِ الفَصيحَةِ، بِدَليلِ أَنَّنا لو بَحَثْنا لَوَجَدْنا أَعْدادًا لا تُحْصى مِنَ الكَلِماتِ العامِّيَّةِ ما زالَتْ مُحافِظَةً على مُعْجَمِيَّتِها بِناءً ومَعْنىً.. الأَمْرُ الّذي شَجَّعَ الكَثيرَ مِنَ الأُدَباءِ على أَنْ يُطَعِّموا قِصَصَهُمْ ورِواياتِهِمْ بِالعامِّيَّةِ، خاصَّةً في الحِوارِ لِتَكونَ اللُّغَةُ أَكْثَرَ مُلاءَمَةً واتِّفاقًا مَعَ شَخْصِيّاتِ الرِّوايَةِ المُتَحاوِرينَ.

والسُّؤالُ الَّذي يَطْرَحُ نَفْسَهُ الآنَ: هلْ سَيَأْتي يَومٌ تُصْبِحُ اللُّغَةُ المَحْكِيَّةُ فيهِ لُغَتَنا نُطْقًا وكِتابَةً كَما يَعْتَقِدُ البَعْضُ؟! بِالتَّأْكيدِ لا! والأَرجَحُ أَنْ تَرْتَقي مَحْكِيَّتُنا إِلى لُغَةٍ وُسْطَى أَي فَصيحَةٍ عامِّيَّةٍ، أَوعامِّيَّةٍ فَصيحَةٍ.. ولَيسَ مَنالُ هَذا بِبَعيدٍ.

(البقيعة/الجليل) 31/8/2016

التَّرْجَمَةُ..

كَمْ يَحْمِلُ مِنَ التَّجَنّي على المُتَرْجِمِ الكَريمِ، ذاكَ المَثَلُ الإيطالِيُّ الّذي يقولُ:«المُتَرْجِمُ خائِنٌ «! نذْكُرُهُ مِنْ غَيرِ أَنْ نُحَمِّلَ أَنْفُسَنا مَشَقَةَ البَحْثِ عَنْ أَصْلِ وفَصْلِ هذا المَثَلِ الجائِرِ، ولا حَتّى عَنْ أَوَّلِ مُناسَبَةٍ قِيلَ فيها ؛ ولا أَدْري، واللّهِ!، كَيفَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْعَتَ مُتَرْجِمٌ جَدَّ واجْتَهَدَ لِيَفْتَحَ لِلْقارِئِ نَافِذَةً يُطِلُّ مِنْها على صَفْوَةِ الآدابِ العالمِيَةِ بِهذهِ الصِّفَةِ الموجِعَةِ ؛ حَتَّى وإِنْ جاءَتْ تَرْجَمَتُهُ لا تُوازي العَمَلَ الأَدَبِيَّ الأَصْلِيَّ، هذا لا يُخَوِّلُ أَحَدًا أَنْ يُعاقِبَ المُتَرْجِمَ، أَيًّا كانَ، هذا العِقابَ القاسي..

ومَهْما يَكُنِ المُتَرْجِمُ حاذِقًا في نَقْلِ الكَلامِ مِنْ لُغَةٍ إِلى أُخْرى فَلَنْ يكونَ بِنَفْسِ الحَذاقَةِ في نَقْلِ أَحاسيسِ الكاتِبِ أَو الشّاعِرِ المُتَرْجَمِ ؛ هُنا بِالحَقيقَةِ تَكْمُنُ صُعوبَةُ التَّرْجَمَةِ، أَو هذا ما أَعْتَقِدُهُ أَنا، لِأَنَّ الأَحاسيسَ لا تُكْتَبُ، بَلْ يُعَبَّرُ عَنْها بِتَرْجَمَةٍ غَيرِ حَرْفِيَّةٍ وذلكَ بِأَنْ يَمْتَصَّ المُتَرْجِمُ تِلْكَ الأَحاسيسَ ويَنْقُلَها إِلى لُغَتِهِ، شَرْطَ أَنْ لا يَبْتَعِدَ عَنِ النَّصِّ الأَصْلِيِّ.. وهذِهِ لَيسَتْ خِيانَةً بَلْ هي وَفاءٌ لِكاتِبِ المادَّةِ

المُتَرْجَمَةِ إِذْ ما قيمَةُ التَّرْجَمَةِ بِدونِ ذاكَ الدِّفْءِ المَخْبوءِ وَراءَ الكَلام؟ المُتَرْجِمُ العارِفُ بِاَنَّ التَّرْجَمَةَ – كالَنَّقْدِ – تَأْتي إبْداعًا على إبْداعٍ، يَعْرِفُ مَتى تَكونُ التَّرْجَمَةُ الحَرْفِيَّةُ نافِعَةً، ومَتى تَكونُ ضارَّةً، ويَعْرِفُ أَيضًا مَتى تَكونُ تَلْخيصَيَّةً.

إِنَّ أَنْجَحَ التَّرْجَماتِ تِلكَ الّتي تَكونُ فيها لُغَةُ المُتَرْجِمِ لُغَةَ الأُمِّ عِنْدَهُ، ومِنْ هُنا يُرَجِّحُ الكَثيرُ مِنَ القُرّاءِ عِنْدَنا قِراءَةَ التَّرجَماتِ العِبْرِيَّةِ على العَرَبِيَّةِ لأِنَّ مُتَرْجِميها يَهودُ لُغَةُ الأُمِّ عِنْدَهُمْ تِلْكَ الّتي يُتَرْجِمونَ عَنْها إِلى اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ الَّتي هي بِدَورِها لُغَةٌ ثانِيَةٌ عِنْدَهُمْ، وقَدْ أَتْقَنوها أَيضًا... هَلْ أَخْطَؤُوا أَمْ أَصابُوا؟ سُؤالٌ لَيسَ مَطْروحًا الآنَ ؛ المَطْروحُ هو أَنْ نَبْحَثَ عَنِ المُتَرْجَماتِ الدَّقيقَةِ التَّرْجَمَةِ، وأَنْ نَكُفَّ أَلْسِنَتَنا عَنْ أُولَئِكَ الجُنودِ المَجْهولينَ الّذينَ ساهَمُوا مُساهَمَةً جُلّى في إِغْناءِ ثَقافَتِنا بِالآدابِ العالَمِيَّةِ الخالِدَةِ.. وأَنْ نَقولَ لَهُمْ بِأَعْلى صَوتِ: شُكْرًا.....

(البقيعة / الجليل) 7/9/2016

العالَمِيَّةُ..

أَعْتَقِدُ أَنَّ ما مِنْ أُمَّةٍ إِلّا وتَطْمَحُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَينِ ظَهْرانيها عالِمٌ أَو أَديبٌ أَو فَنّانٌ يوصِلُها إِلى العالَمِيَّةِ لِتَجِدَ مَطْرَحًا لائِقًا بِها بَينَ الأُمَمِ الفاعِلَةِ على هذا الكَوكَبِ المُبارَكِ بِما أُعْطِيَ مِنْ أَسْبابٍ وَفَّرَتْ لَنا الحَياةَ. فَما هِيَ العالَمِيَّةُ؟ هَلْ إِذا تُرْجِمَتْ أَعْمالُ الأَديبِ، شاعِرًا كانَ أَمْ كاتِبًا، أَو بَعْضُها، إِلى جَميعِ اللُّغاتِ الحَيَّةِ تُؤَهِّلُهُ لِأَنْ يَكونَ عالَميًّا!؟ جَوابِي أَنا، وأَرْجو أَلّا يَكونَ صادِمًا، لا! فَهَذِه التَّرجَماتُ سَتوصِلُهُ إِلى الشَّريحَةِ السُّكّانِيَّةِ الأَضْيَقِ أَلا وهي شَريحَةُ المُثَقَّفينَ، أَو القُرّاءِ مِنْهُمْ.. وهذا ألأَمْرُ يَنْطَبِقُ على الفَنِّ أَيضًا، فلا يَكفي أَنْ يُشارِكَ المُمَثِّلُ في بَعْضِ الأَفلامِ الأَجْنَبِيَّةِ لِيُصْبِحَ عالَمِيًّا! العالَمِيَّةُ نَهْجٌ لَهُ بِدايَةٌ ولكنْ بِلا نِهايَةٍ.... فَإِذا ذَكَرْنا اسم (سُقراط نحو 470 – 399 ق.م) في أَيِّ مَحفَل كانَ لا نحْتاجُ إِلى التَّعْريفِ بِهَ، وهو الّذي أَحْدثَ ثورَةً في الفَلْسَفَةِ وأَسَّسَ عِلْمَ الأَخْلاقِ.. وهذا يَنْطَبِقُ تَمامَ الانْطِباقِ على (وليم شكسبير 1564م – 1616م) الّذي امتازَ بِتَحْليلِهِ لِما

يَدورُ بِعَقْلِ وقَلْبِ الإنْسانِ مِنْ حُبٍّ ومِنْ بُغْضٍ، ومِنْ خَيرٍ وَمِنْ شَرٍّ.... مُجَسِّدًا ذلكَ على خَشَبَةِ المَسْرَحِ الشِّكسبيريِّ.. وكَذلِكَ الأَمْرُ معَ (تشارلي تشابلن 1889م – 1977م) الّذي بَرَعَ في التَّمْثيلِ الصّامِتِ، وعُرِفَ بِشَخْصِيَّةِ شارلو الهَزْلِيَّةِ المَأْساوِيَّةِ، والقائِمَةُ طَويلَةٌ.....

سُؤالٌ بَسيطٌ يَطْرَحُ نَفْسَهُ.. تُرى ماذا فَعَلَ هؤُلاءِ وأَمْثالُهُم فَأَصْبَحوا عالَمِيّينَ!؟ إنَّهم تَرَكوا أَثَرًا بارِزًا في المَسيرَةِ الإنْسانِيَّةِ الحَضارِيَّةِ؛ وطَبَعوا بَصَماتِهِمْ على الذّاكِرَةِ البَشَرِيَّةِ المُتَوارَثَةِ، وخَرَجُوا مِنْ كَونِهِمْ رُموزًا لِأُمَّةٍ واحِدَةٍ إلى اَنْ يَكونُوا رُموزًا حَيَّةً لِجَميعِ الأُمَمِ وذلكَ لِما قَدَّموهُ مِنْ مُساهَماتٍ جُلَّى في رُقِيِّ المُجْتَمَعاتِ الإنْسانِيَّةِ المُتَعاقِبَةِ.

سَلامٌ على كُلِّ مَنْ اَضافَ مِدْماكًا أَو حَتّى لَبِنَةً في صَرْحِ الحَضارَةِ الإنْسانِيَّةِ.. سَلامٌ على عمَر الشَّريف (1932م – 2015م) يَومَ ولِدَ ويَومَ ماتَ ويَومَ سَيُبْعَثُ حَيًّا لِما قَدَّمَ لِأُمَّتِنا العَرَبِيَّةِ، مُخْتَرِقًا كُلَّ الحُصونِ المَنيعَةِ، وفي مُقَدِّمَتِها حِصْنُ الصُّهْيونِيَّةِ المُتَسَلِّطُ على السَينَما العالَمِيَّةِ!

(البقيعة/الجليل) 21/9/2016

كُتّابُ العَمودِ..

نَقْصِدُ بِكاتِبِ العَمودِ ذاكَ الَّذي يَكْتُبُ يَومِيًّا أَو أُسْبوعِيًّا في صَحيفَةٍ ما، بِحَيثُ لا تَتَعَدَّى كِتابَتُهُ العَمودَ الواحَدَ في الصَّحيفَةِ؛ شَرطَ أَنْ يَظْهَرَ في اليَومِ المُعَيَّنِ وفي الَصَّفْحَةِ المُعَيَّنَةِ وفي المَكانِ المُعَيَّنِ في تِلْكَ الصَّفْحَةِ مِنَ الصَّحيفَةِ.. ولَو سُئِلْنا في الأَمْرِ لَاقْتَرَحْنا على كاتِبِ العَمودِ أَنْ يَكْتُبَ أُسْبوعِيًّا لا يَومِيًّا – بِاسْتِثْناءِ مُحَرِّري الصُّحُفِ لِالْتِزامِهِمْ اليَومِيِّ بِكِتابَةِ كَلِمَةِ العَدَدِ – وذَلِكَ لِيَكونَ عِنْدَ الكاتِبِ الوَقْتُ الكافي لِاخْتِيارِ مَوضوعِهِ، وهو القَرارُ الأَصْعَبُ في الكِتابَةِ، إِذْ لا يَكْفي أَنْ يُحِبَّ الكاتِبُ مَوضوعًا ما، فَيَهْرَعَ إِلى كِتابَتِهِ مِنْ غَيرِ أَنْ يُفَكِّرَ بِالقارِئِ الكَريمِ.. هَلْ سَيَروقُ لَهُ ما يَقْرَأُ؟ أَمْ سَيَمُرُّ على المادَّةِ مَرًّا سَريعًا غَيرَ آسِفٍ على تَرْكِها دونَ أَنْ يَقْرَأَها!

لَقَدْ قَرَأْتُ ولا أَزالُ لِكُتّابٍ بَرَعُوا في هذا البابِ، وتَساءَلْتُ: تُرى ماذا شَدَّني ويَشُدُّني إِلى قِراءَةِ هذا الكاتِبِ دونَ ذاكَ؟ ووَجَدْتُ أَنَّ الكاتِبَ المَطْبوعَ يَخْتارُ المَوضوعَ الّذي يَهُمُّ القارئَ، ويُثيرُ فيهِ الرَّغْبَةَ في مُتابَعَةِ

القِراءَةِ، وهو الّذي يَتَرَكَّزُ في مَوضوعٍ واحَدٍ بِعَينِهِ، يُغْنيهِ بِشَرْحٍ مُقْنِعٍ مَعَ مُراعاةِ إِفْقارِهِ بِالحَشْوِ، وإِغْنائِهِ بِالمَعاني المَخْبوءَةِ وراءَ الكَلامِ.. ووَجَدْتُ أَنَّهُ لا يُجْهِدُ نَفْسَهُ بِاصْطِيادِ شَوارِدِ اللُّغَةِ، إِلّا إذا اقْتَضى الأَمْرُ، بَلْ يَتْرُكُ قَلَمَهُ لِسَجِيَّتِهِ هُوَ مِنْ ناحِيَةٍ، ولِذَكائِهِ وبَراعَتِهِ في الكِتابَةِ مِنْ ناحِيَةٍ، بَعيدًا عَنِ الاسْتِعْراضاتِ الثَّقافِيَّةِ وخَنْقِ المَوضوعِ بِما قالَ فُلانٌ و فُلانٌ خاصَّةً الأَجانِبَ مِنْهُمْ ؛ ولا أَذْكُرُ أَنَّني قَرَأْتُ كاتِبًا جادًّا ووجَدْتُهُ يَحْشُرُ نَفْسَهُ بَينَ سُطورِهِ، وإِنْ حَدَثَ كُنْتُ أَجِدُ لَهُ العُذْرَ لِلُصوقِ ما كَتَبَهُ بِهِ أَوَّلًا، وبِالمَوضوعِ المُعالَجِ ثانِيًا..

يُخْطِئُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ كِتابَةَ العَمودِ في صَحيفَةٍ ما عَمَلٌ سَهْلٌ.. هذا إذا كُنّا – نَحنُ الكُتّابَ – نَحْتَرِمُ القارِئَ الكَريمَ الَّذي لا يَنْتَظِرُ مِنّا سِوى الفائِدَةِ والمُتْعَةِ بِقِراءَةِ مادَّةٍ تَسْتَأْهِلُ القِراءَةَ..

(البقيعة / الجليل) 28/9/2016

الذَّوقُ..

قَدْ يكونُ الذَوقُ ضَرْبًا فِطْرِيًّا من ضُروبِ الحَسّاسِيَّةِ الدّافِعَةِ بِروحِ الفَرْدِ إلى الأَفْضَلِ والأجْمَلِ في كُلِّ شَيءٍ لَهُ عَلاقَةٌ مِنْ قَريبٍ أَو مِنْ بَعيدٍ بِما يُطَوِّرُ الإنْسانَ ويُرَقّيهِ لِيَبْنِيَ مُجْتَمَعًا حَضارِيًّا.. وإذا كانَتِ الحَياةُ في السّابِقِ تُؤْخَذُ كَيفَما اتَّفَقَ، لَمْ يَعُدْ بِالإمكانِ قُبولُ ذَلكَ لِما طَرَأَ على حَياتِنا مِنْ أَساليبَ فَرَضَتْ عَلَينا هَيمَنَتَها كامِلَةً؛ فَإذا كُنّا نَسْكُنُ بُيوتًا نَبْنيها حَسَبَ ما تُمْليهِ الحاجَةُ عَلَينا، صِرْنا نَقْرِنُ إلى هذِهِ الحاجَةِ عُنْصُرَ الجَمالِ لِيَكونَ البِناءُ لائِقًا بِساكِنيهِ، مُريحًا لَهُمْ ولِزائِريهِمْ على حَدٍّ سَواءٍ. ولِذا فَقَدْ صِرْنا نَعْتَمِدُ على مُهَنْدِسينَ مُخْتَصّينَ أَصْبَحَ البِناءُ عِنْدَهُمْ فَنًّا، وعلى مُهَنْدِسي ديكور جَعَلوا مِنَ البَيتِ دَفيئَةً لا تَعافُها نَفْسُ، ولا تَمَلُّها عَينٌ.. وإذا كُنّا نَلْبَسُ مَلابِسَنا من غَيرِ اهتِمامٍ بِتَناسُقِ أَلْوانِها، أَصْبَحْنا لا نَلْبَسُ إلّا بَعْدَ انْتِقائِيَّةٍ صارِمَةٍ في مُلاءَمَةِ القَميصِ إلى البَنْطَلونِ، أَو حَتّى رَبْطَةِ العُنُقِ إلى الجَورَبَينِ، ناهيكَ عَنْ لَونِ الحِذاءِ الّذي لا بُدَّ أَنْ يَكونَ مُتَماشِيًا مَعَ لَونِ البِذْلَةِ والجَورَبَينِ.

ولا يَشِذُّ الطَّعامُ عَنِ القاعِدَةِ الذَّوقِيَّةِ فَلَهُ طُقوسُهُ الّتي قَد تَصِلُ إلى حَدِّ الأَحْكامِ العُرفِيَّةِ بِالقياسِ إلى زَمَنٍ لَيسَ بِبَعيدٍ، كانَ يُؤْخَذُ مِنْ طَبَقٍ واحِدٍ مُشارَكَةً مَعَ آخَرينَ..

هَلِ الذَّوقُ مَقْصورٌ على المَسْكَنِ والمَلبَسِ والمَأْكَلِ دونَ غَيرِها مِنْ ضَرورِيّاتٍ في حَياةِ الإِنْسانِ ورُقِيِّها؟! لا يَخْتَلِفُ اثْنانِ على أَنَّ الجوابَ لا! فَالذَّوقُ يَجِبُ أَنْ يَكونَ عَلامَةً فارِقَةً لِلإِنْسانِ المُعاصِرِ في حَديثِهِ وفي ضَحِكِهِ وفي بُكائِهِ وفي مِشْيَتِهِ وفي جِدِّهِ وفي مُزاحِهِ، وحَتّى في إِلْقاءِ التَّحِيَّةِ وفي الرَّدِّ عَلَيها.. فَلْنَتَصَوَّرْ حَياتَنا بِدونِ ذَوقٍ راقٍ يَتَحَكَّمُ في بِناءِ بُيوتِنا، وفي تَخْطيطِ قُرانا ومُدُنِنا، وفي تَنْسيقِ حَدائِقِنا، وفي كُلِّ صَغيرَةٍ وكَبيرَةٍ في حَياتِنا؛ فَهَلْ كُنّا سَنَكونُ غَيرَ قَبائِلَ بِدائِيَّةٍ تَضْرِبُ في طولِ البِلادِ وعَرْضِها؟!

لِنَجْعَلْ مِنَ الذَوقِ الرَّفيعِ إمامًا يَؤُمُّ فينا صَباحَ مَساءَ ونَحْنُ الرّابِحونَ!

(البقيعة / الجليل) 6/9/2016

الجَوهَريُّ والعَرَضِيُّ..

جاءَ في مَعاجِمِ اللُّغَةِ أَنَّ الجَوهَرَ هو المَوجودُ القائِمُ بِنَفْسِهِ، ويُقابِلُهُ العَرَضُ. فَالجَوهَرِيُّ إِذًا، الضَّرورِيُّ اللّازِمُ، ويُقابِلُهُ العَرَضيُّ.. أَي الّذي يَحْدُثُ صُدْفَةً، ويَكونُ غَيرَ داخِلٍ في ذاتِ الشَّيءِ وجَوهَرِهِ.. ومِنْ هُنا جاءَ اصْطِلاحُ (الخَطيئَةُ العَرَضِيَّةُ) في الدّينِ الكاثوليكيِّ: وهي الَّتي لا تُفْقِدُ حالَةَ النِّعْمَةِ نَظَرًا إلى عَدَمِ جَسامَتِها. (مُلْحَقُ المُنْجِدِ).

حينَ أَبْحَرَ كريستوف كولومبس(1451- 1506م) مِن ميناءِ بالوس/إسبانيا سَنَةَ 1492م- وهي سَنةُ تَحْريرِ إسبانيا مِنّا نَحْنُ العَرَبَ!- فَكَّرَ أَنَّ كُرَوِيَّةَ الأَرضِ سَتوصِلُهُ إلى الهِنْدِ إذا اتَّجَهَ غَرْبًا مُتَغَلِّبًا على أَهْوالِ المُحيطِ الأَطْلَسِيِّ والَّذي كانَ يُعَرَّفُ بِبَحْرِ الظُّلُماتِ لِجَهْلِ البّحّارةِ بِهِ آنَذاكَ؛ هذا إذا سارَ بِخَطٍّ مُسْتَقيمٍ، فَكَأَنَّهُ يَدورُ حَولَ الكُرَةِ الأَرْضِيَّةِ، ولا بُدَّ مِنْ أَنْ يَصِلَ الهِنْدَ مِنَ الجِهَةِ الأُخْرى.. وبَعْدَ رُكوبِ البَحْرِ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ، وَصَلَ إلى بِلادٍ اعْتَقَدَ أَنَّها الهِنْدُ وإذا هي بِلادٌ جَديدَةٌ لَمْ

تُعْرَفْ قَبلَ ذلِكَ. أَرَدْتُ أَنْ أَقولَ إنَّ العَرَضِيَّ هُنا، وفي أَحايينَ كَثيرَةٍ، يَكونُ أَكْثَرَ اَهَمِّيَّةً وأَثَرًا في مَسيرَةِ البَشَرِ الحَضارِيَّةِ.

أَمّا المُخْتَرِعُ الأَمْريكيُّ الشَّهيرُ توماس أَديسون(1849م-1931م) والَّذي يَمْتَلِكُ 1093 بَراءَةَ اخْتِراعٍ أَمريكِيَّةً تَحْمِلُ اسْمَهُ.. بَدْءًا بِالمِصْباحِ الكَهرَبائِيِّ المُتَوَهِّجِ التِّجارِيِّ، فالبَطَّارِيَّةِ الكَهْرَبائِيَّةِ لِلسَّيَّارَةِ، فالمُسَجِّلِ الموسيقِيِّ، فَالصُّوَرِ المُتَحَرِّكَةِ، فالميكروفون، فَالفونوغراف الَّذي أَكْسَبَهُ الشُّهْرَةَ..... فَكانَتِ الاخْتِراعاتُ العَرَضِيَّةُ هي الطّاغِيَةُ في مَسيرَتِهِ العِلْمِيَّةِ/الصِّناعِيَّةِ.

ما أَشْبَهَ العَلاقَةَ بَينَ الجَوهَرِيِّ والعَرَضِيِّ بِعَلاقَةِ الفَرْعِ والغُصْنِ في الشَّجَرَةِ، وإِذا كانَتْ هذِهِ تَطْرَحُ ثَمَرًا طَيِّبًا، فَتِلْكَ تَطْرَحُ حَضارَةً..

(البقيعة/الجليل) 19/10/2016

الرَّأْيُ العامُّ..

التَّعْبيرُ عَنِ الرَّأْيِ حَقٌّ مَشْروعٌ لِكُلِّ إِنْسان يَنْظُرُ إِلى الأُمورِ بِمَوضوعِيَّةٍ في مُجْتَمَعٍ قائِمٍ على أُسُسٍ ديمقْراطِيَّةٍ مَتينَةٍ وشامِلَةٍ بِالمَعْنى الحَرْفِيِّ لِلْكَلِمَةِ؛ إِذْ لا يَصِحُّ أَنْ يَتَّسِعَ صَدْرُ الدَّولَةِ لِلتَّعَدُّدِيَّةِ الحِزْبِيَّةِ مَثَلًا، ويَضيقُ حينَ تَجْري الرِّياحُ بِما لا تَشْتَهي سُفُنُ أَصْحابِ الأَمْرِ والنَّهْيِ فيها.. وإِذا كانَ هذا مَكْروهًا في الحَياةِ السِّياسِيَّةِ، إِنْ صَحَّ القَولُ، فَسَيَكونُ كُفْرًا بِالمَبادِئِ الإِنْسانِيَّةِ الّتي نَهَلَتْ مِصْداقِيَّتَها دينِيًّا ودُنْيَوِيًّا على مَرِّ السِّنينَ، بَعْدَ تَنافُرٍ وتَجاذُبٍ، وشَدٍّ وارْتِخاءٍ، واخْتِلافٍ ووِفاقٍ حَتَّى سَجَّلَتْ الذّاكِرَةُ الجَمْعِيَّةُ ما اتُّفِقَ عَليهِ لِيُصْبِحَ قانونًا اجْتِماعِيًّا صارِمًا؛ وقَدْ يَكونُ أَكْثَرَ صَرامَةً مِنَ القَوانينِ السِّياسِيَّةِ في الدَّولَةِ. مِنْ هُنا تَأْتي خُطورَةُ أَو أَمانُ الرَّأْيِ العامِّ على الفَرْدِ وعلى الأَقَلِّيَّةِ في مُجْتَمَعٍ ما.. قَدْ يُجْمِعُ بَعْضُ النّاسِ على أَنَّ فُلانًا بَخيلٌ، فَيُصْبِحُ في نَظَرِ الجَميعِ بَخيلًا مِنْ غَيرِ أَنْ يُتْعِبوا أَنْفُسَهُمْ بِالتَّأَكُّدِ مِنْ صِحَّةِ ما قيلَ! والعَكْسُ

صَحيحٌ.. وقِصَّةُ أَو طُرْفَةُ الأَعْرابِيِّ مَعَ حاتِمِ الطّائِيِّ مَعْروفَةٌ، وهي خَيرُ مِثالٍ على ذلكَ.. فَقَدْ حَلَّ ضَيفًا على حاتِمٍ فَأَغْلَظَ في مُعامَلَتِهِ لَهُ، ولَمْ يَقْرِهِ.. وفي الصَّباحِ تَسَلَّلَ مُفارِقًا.. فَاعْتَرَضَ طَريقَهُ مُلْتَثِمٌ، فَسَأَلَ: مِنْ أَينَ؟ أَجابَ: مِنْ عِنْدِ حاتِمٍ.. وكَيفَ وجَدتَّهُ؟ أَكْرَمَ العَرَبِ! فأَماطَ اللِّثامَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذا هُوَ حاتِمٍ، قالَ: يا عَدُوَّ اللهِ! أَتَكْذِبُ؟! قالَ: يا صاحِبي إِذا أَشَعْتُ أَنَّني نَزَلْتُ على حاتِمٍ ضَيفًا ولَمْ يُطْعِمْني، فَمَنْ سَيُصَدِّقُني مِنَ العَربِ؟!

يُخْطِئُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ اجْتِماعَ الرَّأْيِ على أَمْرٍ- سَلْبًا أَو إِيجابًا – يَهْبُطُ مِنَ السَّماءِ! فَهُناكَ مَنْ يُسَيِّرُهُ حَسَبَ أَهْوائِهِ ورَغَباتِهِ.. وعادَةً ما يَكونُ أَو يَكونونَ مِنْ أَصحابِ النُّفوذِ في المُجْتَمَعِ ولا يَتَوَرَّعونَ، مِنْ أَجْلِ مَصالِحِهم، أَنْ يُمارِسُوا سِياسَةَ التَّرْغيبِ والتَّرْهيبِ، فَحَذارِ نَحْنُ النّاسَ العادِيّينَ، مِنَ الاسْتِهانَةِ بِالرَّأْيِ العامِّ، خاصَّةً إِذا كانَ سَلْبِيًّا، بَلْ عَلَينا أَخْذُ الحَيْطَةِ في اتِّفاقِنا مَعَهُ أَو وُقوفِنا ضِدَّهُ، تَمامًا كَمُرَوِّضِ الأُسودِ الماهِرِ الَّذي يَعْرِفُ كَيفَ يَدْخُلُ القَفَصَ عَلى آسادِهِ، ويَخْرُجُ سالِمًا!

(البقيعة/الجليل) 26/10/2016

رُوحُ القَطيعِ..

كَثيرًا ما نَسْمَعُ أَو نَقْرَأُ اصْطِلاحَ «روحُ القَطيعِ» ولا نُعْطي أَنْفُسَنا فُرْصَةَ الوُقوفِ والتَّمَعُّنِ بِهذا الاصْطِلاحِ، وما يَحْمِلُهُ مِنْ أَبْعادٍ مَجازِيَّةٍ، ونَكْتَفي بِالمَفْهومِ السَّطْحي لَهُ.. أي نَتَصَوَّرُ قَطيعًا مِنَ الماشِيَةِ يَسيرُ لازًّا بَعْضُهُ بَعْضًا.. لكِنْ إِذا بَحَثْنا في سُلوكِ الحَيَوانِ، وعَرَفْنا سِرَّ هذا التَّجَمُّعِ في قُطْعانٍ تَكْثُرُ أَو تَقِلُّ حَسَبَ نَوعِهِ؛ عَرَفْنا لِماذا أَصْبَحَ هذا الاصْطِلاحُ مُتَداوَلًا بَينَ عُلَماءِ الاجْتِماعِ، والباحِثينَ فيهِ.. وعَرَفْنا أَيضًا أَنَّ صِراعَ البَقاءِ دَفَعَهُ لِأَنْ يَبْحَثَ عَنِ الجَماعَةِ كَي يَلْتَحِقَ بِها.. فَيَكْتَسِبَ بِغَريزَتِهِ أَنَّ وُجودَهُ في قَطيعٍ أَكْثَرُ أَمانًا لَهُ، كَما أَنَّهُ يَسْتَمِدُّ قُوَّةً فَوقَ قُوَّتِهِ مِنْهُ. يَدْعَمُ زَعْمَنا هذا ما نُشاهِدُهُ على الشّاشَةِ الصَّغيرَةِ كَيفَ أَنَّ الحَيواناتِ اللّاحِمَةَ لا تَقْوى على مُهاجَمَةِ القَطيعِ نَفْسِهِ، بَلْ تَقْوى على مُهاجَمَةِ أَطْرافِهِ، أَو ما تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنْ أَفْرادٍ.

الجَماعَةُ قُوَّةٌ.. وإِذا سَرَتْ روحُ الجَماعَةِ/ روحُ القَطيعِ في الجَماعاتِ حَقَّقَتْ ما تَعْجَزُ عَنْهُ البُطولاتُ الفَرْدِيَّةُ.. بَلْ تُصْبِحُ هذِهِ ضَرْبًا مِنْ ضُروبِ الخَيالِ السَّمِجِ الَّتي

نُشاهِدُها في أَفْلامِ السّوبرمان الأَمْريكِيَّةِ.

مَهْما ابْتَعَدَ الإنْسانُ وسَما بِغَرائِزِهِ يَظَلَّ، بالمَنْظورِ العِلْمِيِّ، حَيَوانًا مُهَذَبَ الغَرائِزِ.. (ولِنَدَعِ القُدْرَةَ على التَّفْكيرِ والتَّخَيُّلِ الآنَ..) هُوَ ضَعيفٌ إذا وَجَدَ نَفْسَهُ وَحيدًا أَمامَ خَطَرٍ داهِمٍ.. ويُحِسُّ بِالقُوَّةِ إذا وجَدَ نَفْسَهُ مُحاطًا بِجَماعَةٍ تُناصِرُهُ؛ حَتّى لو كانَ هذا الخَطَرُ صِدامًا مَعَ مَسْؤُولٍ أَو حاكِمٍ.. وهَلْ وُفودُ المُعَزّينَ سِوى مُشارَكَةِ المُعَزَّى في عَزائِهِ؟ وكذا آلافُ المُشَجِّعينَ لِفَريقِ كُرَةِ القَدَمِ حَيثُ يَمُدُّونَ فَريقَهُمْ بِقُوَّةٍ فَوقَ قُوَّتِهِ مِنْ وُجودِهِمْ مَعَهُ.

مِنْ هُنا عَرَفَ القادَةُ المُحَنَّكونَ، والسّاسَةُ المُدَرَّبونَ أَهَمِّيَّةَ روحِ الجَماعَةِ.. فَجَعَلوا مَنَ المُظاهَراتِ سِلاحًا ناعِمًا في ظاهِرِهِ، خَشِنًا في باطِنِهِ؛ مِمّا جَعَلَ الحُكّامَ -مَهما تَعاظَمَتْ سَطْوَتُهُمْ- يَعْمَلُونَ لِلْمُظاهَراتِ حِسابًا..

ويَجِبُ أَلّا نَنْسى أَنَّ روحَ القَطيعِ سِلاحٌ ذو حَدَّينِ: هو خَيرٌ إنْ سُخِّرَ لِلْخَيرِ، وهْوَ شَرٌّ إنْ سُخِّرَ لِلشَّرِّ.. فَما أَعْدَلَ روحَ القطيعِ حين تَرْدَعُ ظالِمًا عَنْ ظُلْمِهِ، وما أَظْلَمَها حينَ تُسَخَّرُ لِخِدْمَتِهِ!

(البقيعة/الجليل) 2/11/2016

ضِدُّ التَّيّارِ..

جاءَ في «المُنْجِد في اللُّغةِ والأَعْلام» شَرْحُ كَلِمَةِ «التَّيّارُ». يُقالُ تارَ يَتيرُ تَيَرانًا البَحْرُ: هاجَ.. فالتَّيّارُ إِذًا، مَوجُ البَحْرِ الهائِجُ.. والتَّيّاراتُ الفِكْرِيَّةُ أَي الحَرَكاتُ الفِكْرِيَّةُ المُنْدَفِعَةُ كَالمَوجِ.. والتَّيّارُ الكَهْرَبائِيُّ هو سَيرُ الكُهَيرَباتِ في سِلْكٍ. (انْتَهى الاقتِباسُ). فالسّابِحُ ضِدَّ التَّيّارِ في النَّهْرِ، هو ذاكَ الّذي يَسْبَحُ صُعودًا، لِأَنَّ النَّهْرَ يَتَدَفَّقُ أَصْلًا مِنْ أَعْلى إِلى أَسْفَلِ، يَقومُ بِها السّابِحُ كَتَمْرينٍ، قَدْ يَكونُ الأَصْعَبَ في فَنِّ السِّباحَةِ لِيَزيدَ مِنْ قُوَّتِهِ.. أَمَّا السّابِحُ ضِدَّ التَّيّارِ في البَحْرِ فَيَكونُ مِنْ أَهْدافِهِ تّحَدِّي المَوجِ الهائِجِ ورُكوبُ ثَبَجِهِ..

فَإِذا قُلْنا: فُلانٌ يَسْبَحُ ضِدَّ التَّيّارِ مَثَلًا، أَوَّلُ ما يَرتَسِمُ في أَذْهانِنا صورَةَ سابِحٍ يُعاكِسُ التَّيّارَ في سِباحَتِهِ، وسُرْعانَ ما تَمَّحي هَذِهِ الصّورَةُ مِنَ المُخَيِّلَةِ لِيَأْخُذَ مَكانَها مَعْنًى مَجازِيٌّ يَدُلُّ على إِنْسانٍ لا يَتَّفِقُ مَعَ الجَماعَةِ في رَأْيٍ أَو في حَلِّ مَسْأَلَةٍ خاصَّةً حينَ تَكونُ الجَماعَةُ سَنَدًا لِباطِلٍ أَو دَعْمًا لِسَلَفِيَّةٍ بائِدَةٍ؛ مِنْ هُنا غَلَبَ المَفْهومُ الإيجابِيُّ

لِلتَّعْبيرِ المَفْهومَ السَّلْبِيَّ لِأَنَّ الّذينَ يَسْبَحونَ ضِدَّ التَّيّارِ هُمُ الإيجابِيّونَ المُناهِضونَ لِلسَّلْبيِّ السّائِدِ في المُجْتَمَعِ؛ ولَيسَ بِالضَّرورَةِ أَنْ يَكونوا مُصْلِحينَ اجْتِماعِيّينَ أَو قادَةَ فِكْرٍ أَو سِياسَةٍ، بَلْ مِنَ الضَّرورَةِ أَنْ يَكونوا مِنَ النّاسِ العادِيّينَ، بِشَتَّى فِئاتِهِمْ وطَبَقاتِهِمْ، والَّذينَ طَحَنَتْهُمْ طَواحينُ الظُّلْمِ والظّالِمينَ في المَصْنَعِ وفِي الحَقْلِ وفي كُلِّ مَطْرَحٍ يَدِرُّ ذَهَبًا في جُيوبِ المُسْتَغِلّينَ.

حينَ قالَ مارتن لوثَر كِنغ (1929م-1968م): لَدَيَّ حُلُمٌ بِأَنَّ يَومًا مِنَ الأَيّامِ، أَطْفالي الأَرْبَعَةَ سَيَعيشونَ في شَعْبٍ لا يَكونُ فيهِ الحُكْمُ على النّاسِ بِأَلْوانِ جُلودِهِمْ، ولكِنْ بِما تَنْطَوي عَليهِ أَخْلاقُهُمْ..... لَمْ يَسْبَحْ ضِدَّ التَّيّارِ فَقَطْ، بَلْ حَوَّلَ التَّيّارَ الى الجِهَةِ الَّتي أَرادَ.... وكانَ الثَّمَنُ باهِظًا!!

(البقيعة/ الجليل) 9/11/2016

التَّقاعُدُ..

لِماذا لَمْ يَجِدِ اللُّغَوِيُّونَ، إلى الآنَ، كَلِمَةً أَخَفَّ وَطْأَةً، على الأُذُنِ بَدَلَ كَلِمَةِ (تَقاعُد)؟ تعْريفًا بِالسَّنَواتِ الّتي يَعيشُها الإنْسانُ، طالَتْ أَمْ قَصُرَتْ، بَعْدَ عَشَراتِ السِّنينَ قَضّاها جادًّا في وَظيفَةٍ أَو عَمَلٍ ما.. لا آتي بِجَديدٍ إنْ قُلْتُ إنَّ الفِعلَ تَقاعَدَ جاءَ مِنَ الثُّلاثي (قَعَدَ) ولكِنَّ الجَديدَ هُوَ أَنْ نَكونَ قادِرينَ على اسْتِشْعار ما يَحْمِلُ هذا الفِعْلُ مِنْ سَلْبِيَّةٍ؛ الشّاعِرُ إبْراهيم طوقان مَثَلاً، اسْتَعْمَلَ الفِعْلَ (أُقْعُدْ) في مُعارَضَتِهِ لِقَصيدَةِ أَحْمَد شوقي(العِلْمُ والتَّعْليم) ومَطْلَعُها:

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجيلا
كادَ المُعَلِّمُ أَنْ يَكونَ رَسولا

ولَمْ يَسْتَعْمِلِ الفِعْلَ(اجْلِسْ) حينَ قالَ:

شَوقي يَقولُ وَمَا دَرى بِمُصيبَتي
قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجيلا
اقْعُدْ! فَدَيتُكَ لَنْ يَكونَ مُبَجَّلًا
مَنْ كانَ لِلنَّشْءِ الصِّغارِ خَليلا

ومَعَ تَحَفُّظِي الشَّديدِ مِنْ رَأْيِ الشّاعرِ في صَداقَةِ النَّشْءِ الجَديدِ، مَعَ أَنَّهُ قالَها في ساعَةِ غَضَبٍ، أَو رُبَّما أَطْلَقَها كَدِعابَةٍ إلّا أَنَّني فَهِمْتُ ما رَمى إلَيهِ الشّاعِرُ الغاضِبُ وهو الحَطُّ مِنْ قيمَةِ المَمْدوحِ في قَصيدَةِ شَوقي الّذي هُوَ المُعَلِّمُ.. ومَنْ أَكْثَرُ مِنْهُ دِرايَةً بِعَدَمِ اسْتِلْطافِ الطُّلّابِ لِقَواعِدِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وهو الشّاعرُ المُجَلِّي والمُعَلِّمُ الحَريصُ على أَنْ تَظَلَّ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ إرْثًا مُقَدَّسًا!!.. قَدْ أَجِدُ مُعْتَرِضًا على ما أَقولُ، وحُجَّتُهُ في ذلكَ أَنَّ الفِعْلَ قامَ عَكْسُ قَعَدَ، وأَمَّا الفِعْلُ جَلَسَ فَعَكْسُ الفِعْلِ وَقَفَ، إلَّا أَنَّني سَأَتْبَعُ إحْساسي بِأَنَّ الشّاعِرَ إبْراهيم طوقان بِشِعْرِيَّتِهِ العالِيةِ قَصَدَ استِعْمالَ الفِعلِ قَعَدَ لِلسَّبَبِ الّذي أَورَدْتُهُ أَعْلاهُ.

ولا أَكونُ مُبالِغًا إنْ قُلْتُ إنَّ كَلِمَةَ (مُتَقاعدٌ) لا تَبْتَعِدُ كَثيرًا عَنْ كَلِمَةِ (مُقْعَدٌ)، أَو على الأَقَلِّ تُذَكِّرُنا بِها.. فَإذا اتَّفَقْنا على أَنَّ سَنَواتِ ما بَعْدَ الخِدْمَةِ هي سَنَواتُ رَفاهَةٍ أَي سَنَواتُ رَغَدٍ ولينِ عَيشٍ، فَلِماذا لا تَكونُ كَلِمَةُ(رافِهٌ) بَديلًا عَنْ كَلِمَةِ مُتَقاعِدٍ مَثَلًا،أَو نَقولُ: فُلانٌ خَرَجَ إلى (الرِّفاهِ) بَدَلَ أَنْ نَقولَ خَرَجَ إلى التَّقاعُدِ.. فالأُولى توحي

لَنا بِأَنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ إِلى راحَةٍ بَعْدَ طولِ تَعَبٍ، وأَمّا الثّانِيَةُ فَتوحي بِصورَةِ رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ سَنَواتِ جِدٍّ ونَشاطٍ إِلى سَنَواتِ قُعودٍ وكَسَلٍ...!

(البقيعة/ الجليل) 16/11/2016

الفَراغُ..

ما هو الفَراغُ؟ قَدْ يَبْدو السُّؤالُ ساذَجًا مَعَ أَنَّهُ لَو فَكَّرْنا في الإجابَةِ عَلَيهِ لَوَجَدْنا أَنْفُسَنا في مَتاهَةٍ عِلْمِيَّةٍ وفَلْسَفِيَّةٍ واجْتِماعِيَّةٍ. وأَبْسَطُ تَعْريفٍ عِلْمِيٍّ لِلْفَراغِ هُوَ:» حَيِّزٌ مِنَ الفَضاءِ فارِغٌ مِنَ المادَّةِ، ويَكونُ ضَغْطُهُ أَقَلَّ مِنَ الضَّغْطِ الجَوِّيِّ بِكَثيرٍ» وبَعيدًا عَنِ التَّفْسيراتِ العِلْمِيَّةِ، هُناكَ مَنْ قالَ: إِنَّ الفَراغَ هو التَّحَرُّرُ مِنَ العَمَلِ.. أَو الوَقْتُ الفائِضُ مِنَ اليومِ عِنْدَ الإِنْسانِ بَعْدّ حَسْمِ ساعاتِ النَّومِ والعَمَلِ.. أَمَّا الَّذينَ قالوا: هُوَ ساعَةُ التَّرْويحِ عَنِ النَّفْسِ، فَقَدِ ابتَعَدوا كَثيرًا بِتَعْريفِهِمْ هذا لِأَنَّ التَّرويحَ عَنِ النَّفْسِ بِحَدِّ ذاتِهِ هو اتِّجاهٌ داخِلِيٌّ يَجْمَعُ بَينَ العَقْلِ والرّوحِ في حالَةٍ تَأَمُّلِيَّةٍ تَشْغَلُ الفَرْدَ، حَتّى لو كانَ يَجْلِسُ مَعَ نَفْسِهِ..

عُذْرًا إِنْ عُدْتُ إِلى التَّفْسيرِ العِلْمِيِّ جاعِلًا مِنْهُ وَسيلَةً تَوضيحِيَّةً لِفَهْمِ الفَراغِ في حَياةِ الفَردِ ومَدى خُطورَتِهِ إِنْ دَخَلَ وِجْدانَنا وعَشَّشَ في صُدورِنا؛ فَالحَيِّزُ الفارِغُ مِنَ المادَّةِ يَكونُ ضَغْطُهُ أَقَلَّ مِنَ الضَّغْطِ الجَوِّيِّ بِكَثيرٍ! ولِذا فَنِهايَةُ كُلِّ حَيِّزٍ فارِغٍ هي الدَّمارُ، وِعاءً كانَ أَو بِناءً

بِفِعْلِ الضَّغْطِ الجَوِّيِّ الرَّهيبِ الواقِعِ عَلَيهِ، ولا فَرْقَ بَينَ مادَّةٍ رِخْوَةٍ أَو صُلْبَةٍ أَو صُلْبَةٍ جِدًّا صُنِعَ أَو بُنِيَ مِنْها.....

وكَذا الإِنْسانُ فَإِذا ما وَجَدَتِ الهُمومُ حَيِّزًا فارِغًا في نَفْسِهِ ضَغَطَتْهُ مِنْ كُلِّ اتِّجاهٍ، ولا تَتْرُكُهُ إِلّا جَسَدًا مُهَدَّمًا..!

يَنْصَحُ العُلَماءُ المُخْتَصّونَ، والاجْتِماعِيّونَ مِنْهُم خاصَّةً أَنْ يَبْدَأَ الفَرْدُ مِنّا بِإِعْدادِ نَفْسِهِ لِحَياةٍ لا يَتَحَكَّمُ فيها عَقْرَبا السَّاعَةِ، كَما هي الحالُ في الدَّوامِ الوَظيفِيِّ؛ كَأَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ على المُطالَعَةِ لِتُصْبِحَ القِراءَةُ عادَةً يَومِيَّةً عِنْدَهُ، أَو أَنْ يَقومَ بِعَمَلٍ تَطَوُّعِيٍّ في مُسْتَشْفى مَثَلًا، أَو في مَكاتِبَ لِلْخَدَماتِ العامَّةِ، أَو أَنْ يوقِظَ هِواياتٍ كانَتْ نائِمَةً في نَفْسِهِ، والآنَ جاءَ دَورُها لِتَنْهَضَ بَعَدَ طولِ رُقادٍ لِتُوَفِّرَ التَّسْلِيَةَ الإيجابِيَّةَ لِصاحِبِها، ولِتَحُولَ بَينَهُ وبَينَ الشُّعورِ الخاطِئِ بِأَنَّهُ قَدْ أَدَّى دَورَهُ على مَسْرَحِ الحَياةِ، وأَنَّ طاقاتِهِ الخَلّاقَةَ قَدِ اسْتُنْزِفَتْ.. وهذا بَعْضٌ مِنْ كُلٍّ.....

ما أَجْمَلَ اليَومَ الّذي يَمُرُّ بي مِنْ غَيرِ أَنْ أَتَبادَلَ نَظَراتِ عَدَمِ الاسْتِلْطافِ مَعَ ساعَتي الَّتي تَأْبى إِلّا أَنْ تُعيدَني إِلى انْضِباطِيَّةٍ تَعافُها الرُّوحُ الّتي تَبْغي انْطِلاقًا..

(البقيعة/الجليل) 23/11/2016

الهِوايَةُ..

يُمْكِنُ تَعْريفُ الهِوايَةِ بِأَبْسَطِ الكَلِماتِ إذا قُلْنا إنَّها نَشاطٌ فَرْدِيٌّ لِتَحْقيقِ مُتْعَةٍ ما بِمَهارَةٍ يَدَوِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ في أَوقاتٍ يَجِدُ الإِنْسانُ نَفْسَهُ فيها -خاصَّةً بَعْدَ الدَّوامِ الرَّسْمِيِّ- على حافَّةِ السُّقوطِ في هُوَّةِ الفَراغِ الَّذي هُوَ بِحَدِّ ذاتِهِ الوَقْتُ الضّائِعُ مِنْ عُمْرِ الفَرْدِ، ذَكَرًا كانَ أَمْ أُنْثى، وإذا كانَ الحَكَمُ في لُعْبَةِ كُرَةِ القَدَمِ يُعَوِّضُ اللّاعِبينَ بِبَعْضِ الوَقْتِ في آخِرِ كُلِّ مُباراةٍ فَلَيسَ مِنَ المُمْكِنِ القِيامُ بِهذا في (لُعْبَةٍ) الحَياةِ! فَلَيسَ مِنَ الحِكْمَةِ إذًا إضاعَةُ دَقيقَةٍ واحِدَةٍ مِنْ أَعْمارِنا، طالَتْ أَمْ قَصُرَتْ، فَلا نَعيشُها بِرَغْبَةٍ حَتّى آخِرِ ثانِيَةٍ فيها..

ومُمارَسَةُ الهِوايَةِ لَيسَتْ مَقْصورَةً على سِنٍّ مُعَيَّنَةٍ شَرْطَ أَنْ تَكونَ مُلائِمَةً لِسِنِّ مُمارِسِها.. ومِنْ هُنا فَقَدْ أَصْبَحَ لِلصِّغارِ هِواياتٌ خاصَّةٌ بِهِمْ كَجَمْعِ الطَّوابِعِ البَريدِيَّةِ، أَو جَمْعِ النُّقودِ المَعْدَنِيَّةِ أَو الوَرَقِيَّةِ، أَو المُراسَلَةِ، أَو القِراءَةِ والكِتابَةِ أَو الرَّسْمِ أَو الموسيقى...ناهيكَ عَنِ الرِّياضَةِ بِأَنْواعِها.. أَمّا هِواياتُ الكِبارِ فَتَتَنَوَّعُ ما بَينَ المُطالَعَةِ والتَّصْويرِ والطَّهْيِ ورِياضَةِ المَشْيِ والسِّباحَةِ، وما الى

ذلِكَ مِنْ أَلْعابٍ رِياضِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

فَوائِدُ الهِواياتِ كَثيرَةٌ أَهَمُّها خَفْضُ مَنْسوبِ التَّوَتُّرِ عِنْدَ الكِبارِ مِنْ ضُغوطاتِ العَمَلِ خاصَّةً والحَياةِ عَامَّةً.. أَمّا عِنْدَ الصِّغارِ فَإِلى جانِبِ خَفْضِ التَّوَتُّرِ عِنْدَهُم فَهْيَ خَيرُ مُعينٍ لَهُمْ على عُبورِ مَرْحَلَةِ المُراهَقَةِ بِأَقَلِّ ما يُمْكِنُ مِنْ ضَرَرٍ؛ وهي كَفيلَةٌ بِأَنْ تُفَتِّحَ عِنْدَهُمْ طاقاتٍ ذِهْنِيَّةً عالِيةً، وتَفْتَحُ لَهُمْ دُروبَ الخَلْقِ والإِبْداعِ. وكَونُ بَعْضِها قابِلًا لِلتَّطَوُّرِ فَقَدْ تَتَحَوَّلُ الهِوايَةُ إِلى احْتِرافٍ يُوَفِّرُ لِصاحِبِها الرِّبْحَ الكَثيرَ والعَيشَ الكَريمَ كَنُجومِ كُرَةِ القَدَمِ، والموسيقِيّينَ والمُصَوِّرينَ والرَّسّامينَ والخَطّاطِينَ...

وإِذا حَدَثَ ولَمْ تَصِلْ بَعْضُ الهِوايَاتِ بِأَصْحابِها إِلى الرِّبْحِ المادِّيِّ فَلا شَكَّ أَنَّها تُوصِلُهُمْ إِلى المُتْعَةِ الحَقيقِيَّةِ، والشُّعورِ بِأَنَّ لِلْحَياةِ قيمَةً ما بَعْدَها قيمَةٌ!

لَقَدْ شَدَّ انْتِباهي بَرنامَجٌ تِلِفِزْيونيٌّ مَرَّةً عن رَجُلٍ كانَ يُمارِسُ هِوايَةَ صَيدِ السَّمَكِ بِالصِّنّارَةِ، فكانَ يَجْلِسُ السَاعَةَ تِلوَ السّاعَةِ يَصيدُ السَّمَكَةَ ثُمَّ يَعُودُ فَيُعيدُها إِلى الماءِ! كَمْ كانَ (بِاعْتِقادي) راقِيًا! كانَ بِهِوايَتِهِ تِلْكَ يُحَقِّقُ المُتْعَةَ لِنَفسِهِ، مِنْ غَيرِ أَنْ يَمْنَعَ عَنِ السَّمَكَةِ الحَياةَ.

(البقيعة/الجليل) 30/11/2016

الوَقْتُ..

لَقَدْ صَدَقَ الإِنْجليزُ حينَ شَبَّهوا الوَقْتَ بِالذَهَبِ تَشْبيهًا بَليغًا فَقالوا:«الوَقْتُ ذَهَبٌ» تَعْبيرًا عَن قيمَتِهِ العالِيةِ، خاصَّةً وأَنَّ الذَّهَبَ يَظَلُّ سَيِّدَ المَعادِنِ في الذّاكِرَةِ الجَمْعِيَّةِ، بِالرَّغْمِ مِنْ وُجودِ مَعادِنَ تَفوقُهُ ثَمَنًا.. وحينَ نُقِلَ عَنِ الرَّسولِ الكَريمِ أَنَّهُ قالَ:» النَّومُ أَخو المَوتِ ولا يَنامُ أَهْلُ الجَنَّةِ « كَأَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَقولَ: بِالرَّغْمِ مِنْ حاجَةِ الإِنْسانِ لِلنَّومِ كَي يَسْتَمِرَّ في الحَياةِ إِلّا أَنَّهُ وَقْتٌ مُقْتَطَعٌ مِنْ أَعْمارِنا لا نَفْعَلُ فيهِ شَيئًا! طَبيعِيٌّ جِدًّا أَنْ نَنامَ الوَقْتَ الّذي تَحْتاجُهُ أَبْدانُنا، وأَنْ نَرْتاحَ، ولَكِنْ لَيسَ مِنَ الطَّبيعِيِّ أَنْ نَهْدِرَ لَحْظَةً واحِدَةً مِنْ ساعاتِ صَحْوِنا في التَّبَطُّلِ والعَبَثِ واللّامُبالاةِ..

لَنْ أَدْخُلَ في تَعْريفاتِ الوَقْتِ العِلْمِيَّةِ، فَهذا أَتْرُكُهُ لِلْمَوسوعَةِ العالَمِيَّةِ ويكيبيديا، ولِعُلَماءِ الفيزياءِ الفَضائِيَّةِ.. ولكنْ سَأَدْخُلُ- لِتَذكيرِ القارِئِ الكَريمِ فَقَطْ- في عَلاقَةِ الإِنْسانِ المُرْبِكَةِ بِالوَقْتِ، فَقَدْ نَجِدُهُ بَطيئًا ثَقيلًا حينًا، وقَدْ يَمُرُّ عَلَينا سَريعًا خَفيفًا حينًا، بَينَما الوَقْتُ هُوَ هوَ لا

يَطولُ ولا يَقْصُرُ.. إِذًا المَسْأَلَةُ إِحْساسٌ وإِدْراكٌ، فَإِنْ كُنّا مَحْزونينَ مَثَلًا نُحِسُّهُ بَطيئًا، وأَصْدَقُ مَنْ عَبَّرَ عَنْ ذلكَ الشّاعِرُ النّابِغَةُ الذُّبيانيُّ (تُوُفِّيَ نَحو604م):

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ ناصِبِ

ولَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ

وأَمّا إِذا كُنّا فَرِحينَ مُنْشَرِحينَ فَنُحِسُّهُ سَريعًا حَتّى أَنَّنا نَتَفاجَأُ بِسُرْعَةِ مُرورِهِ! والسُّؤالُ الَّذي يَطْرَحُ نَفْسَهُ: هلْ حَيَواتُنا تُقاسُ بِعَدَدِ السَّنَواتِ الَّتي نَعيشُها أَمْ بِقيمَةِ وأَهَمِّيَّةِ ما أَنْجَزْناهُ مِنْ أَعْمالٍ نافِعَةٍ لِلنّاسِ في تِلكَ السَّنَواتِ؟

جاءَ في دائِرَةِ المَعارِفِ بِإِدارَةِ فُؤاد إِفرام البُسْتانيّ(1906م-1994م) أَنَّ القَدَرَ عَرَضَ على (أَخيل) أَعْظَمِ أَبْطالِ اليونانِ قاطِبَةً، أَنْ يَخْتارَ بَينَ حَياةٍ طَويلَةٍ خامِلَةٍ وحَياةٍ قَصيرَةٍ مَجيدَةٍ.. فَاخْتارَ الثّانِيَةَ.. فَإِذا ما اتَّفَقْنا مَعَ (أَخيل) بِما اختارَهُ، وأَنَّ الحاضِرَ لَحْظَةٌ بَينَ ماضينا ومُسْتَقْبَلِنا، فَلَيتَ يكونُ الأَوَّلُ مُشَرِّفًا والثّاني نَسْتَقْبِلُهُ تَخْطيطًا وبِناءً..

(البقيعة/الجليل) 7/12/2016

نَحْنُ والوَقْتُ..

لَعَلَّ الإِنْسانَ المُعاصِرَ، وقَدْ أَخَذَتْهُ المَدَنِيَّةُ والرَّكْضُ وراءَ لَقْمَةِ العَيشِ الشَّريفَةِ، مُكْرَهًا أَو مُخْتارًا، لا يَجِدُ الوَقْتَ كَي يَقِفَ عِنْدَ جَمالِ حَديقَةٍ يَمُرُّ بِجانِبِها مَثَلًا! ورُبَّما يَكونُ قَدِ امَّحى مِنْ ذاكِرَتِهِ جَمالُ ورومانْسِيَّةُ لَحْظَةِ شُروقٍ أَو غُروبِ الشَّمْسِ، ناهيكَ عَنِ السَّهَرِ في اللَّيالي القَمْراءِ وما إِلى ذلكَ..... أَكْتُبُ هذا مَعَ أَنِّي على يَقينٍ بِأَنَّ في داخِلِ كُلِّ فَرْدٍ مِنا طِفْلًا مُشاغِبًا يُحِبُّ الحَياةَ مَليئَةً بِاللَّعِبِ والتَّلَهّي بِالرَّكْضِ وراءَ ظِلِّهِ، اَو مُحاوَلَةِ اصْطِيادِ الفَراشاتِ، أَو الخَرْبَشَةِ على الجُدْرانِ بِالفَحْمِ أَوِ بِالطَّباشيرِ.. في داخِلِ كُلِّ فَرْدٍ مِنّا طِفْلٌ لَصيقٌ بِحَياةٍ لا حِسابَ لِلْوَقْتِ فيها إِلّا لِلْفَرَحِ، والفَرَحُ لا يَسْكُنُ النُّفوسَ المُتْعَبَةَ، ولا هَدْأَةُ بالٍ إِلّا إِذا أُخِذَتِ الحَياةُ على بَساطَتِها.. وأَجْدادُنا الّذينَ شَرِبُوا حِكْمَةَ الحَياةِ قالوا: كانَتْ حَياتُنا قِلَّةً وبَسْطًا!

أَنا لَسْتُ مِنْ دُعاةِ التَّبَطُّلِ والكَسَلِ، ولَكنْ يُرْضيني أَنْ أَكونَ مِنْ دُعاةِ الحَياةِ الّتي لا رَكْضَ فيها.. الحَياةِ الَّتي

مَساحَةُ البَسْطِ فيها أَضْعافُ مَساحَةِ المَقْتِ.. هذا لا يَعْني أَنَّني ضِدُّ الجِدِّ والاجْتِهادِ إنْ كانَ مِنْ أَجْلِ تَوفيرِ الحَياةِ الكَريمَةِ لِلْإِنْسانِ، فَإِنْ زادَ عَنْ ذلكَ يَصْبِحُ جَشَعًا وَضَعْفًا إزاءَ غَريزَةِ التَّمَلُّكِ الّتي فينا، والّتي إنْ لَمْ نُهَذِّبْها تَخْرجْ عَنْ طَوعِنا، لا بَلْ تُدْخِلْنا في مَتاهاتِ جَمْعِ المالِ وموبِقاتِهِ!

وما أَصْدَقَ عَلِيَّ بن أَبي طالِبٍ (ك) (599م-661م) يَومَ قالَ: الغِنَى الأَكْبَرُ اَلْيَأْسُ عَمّا في أَيدي النّاسِ..

لَسْتُ مِثالِيًّا أَنْشُدُ ما لا يَتَحَقَّقُ، ولَيسَ مِنْ عادَتي أَنْ أَنْسُجَ الأَحْلامَ وأَرْتَديَها ولكِنّي أَرَى أَنَّ عُمْرَ الإِنْسانِ أَقْصَرُ مِمّا نَتَصَوَّرُ.. أُحِبُّ أَنْ أَعيشَ الحَياةَ لَعِبًا بَعْدَ جِدٍّ، وراحَةً بَعْدَ تَعَبٍ؛ فَشَتّانَ ما بَينَ راحَةٍ بَعْدَ تَعَبٍ في الحَياةِ، وبَينَ راحَةٍ تَعْقُبُها راحَةٌ فَراحَةٌ فَكَسَلٌ فَتَبَطُّلٌ فَقُعودٌ...!

(البقيعة/الجليل) 14/12/2016

نَحْنُ والأَسْماءُ..

مَنْ مِنّا لَمْ يَسْمَعْ أُغْنِيَّةَ (أَسَمينا)، ومَنْ مِنَّا لا يَطْرَبُ غايَةَ الطَّرَبِ حينَ سَماعِها!؟ كَيفَ لا وهيَ مِن كَلِماتِ الشّاعِرِ اللُّبْناني المُبْدِعِ جوزيف حَرْب (1944م-2014 م)، وأَلْحانِ الفَنّانِ المُتَعَدِّدِ المَواهِبِ خَفيفِ الظِّلِّ فيلمون وهبي (1918م-1985م) وغِناءِ السَّيِّدَةِ فَيروز (1935م) بِصَوتِها الطّوباوِيِّ!؟ ولكنْ لِنَسْأَلْ أَنْفُسَنا لِماذا كَتَبَ الشّاعِرُ قَصيدَتَهُ؟ ولِماذا الْتَفَتَ إِلَيها المُلَحِّنُ الفَذُّ ولَحَّنَها لِتُغَنّيها فَنّانَةٌ بِحَجْمِ فَيروز!؟ إِذَنْ هُنالِكَ هَدَفٌ آخَرُ مِنَ التَّسْمِيَةِ إِلى جانِبِ أَنَّها وُجِدَتْ لِتَعْيينِ المُسَمَّى وتَعْريفِهِ. فهُناكَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِلْاسْمِ تَأْثيرًا على المُسَمّى، سَلْبًا أَو إِيجابًا.. فَإِذا سَمَّينا الطِّفْلَ (جاسِر) أَو(باسل) مَثَلًا يَنْشَأُ – وبِاللّاوَعْيِ – وهو يَعْمَلُ على أَنْ يَكونَ أَهْلًا لِيَحْمِلَ اسْمَهُ ذاكَ. والعَكْسُ صَحيحٌ. قَدْ أَميلُ إِلى هذا الرَّأْيِ بَعيدًا جِدًّا عَمّا يُؤْمِنُ بِهِ المُنَجِّمونَ مِنْ أَنَّ أَحْرُفَ الهِجاءِ تَقَعُ تَحْتَ تَأْثيرِ الأَفْلاكِ، ويَزْعُمونَ أَنَّهُ مِنْ هَهُنا قَدْ يَأْتي الاسْمُ مُلائِمًا أَو مُخالِفًا لِطَبيعَةِ الإِنْسانِ فَيَسْعَدُ إِنْ كانَ مُلائِمًا،

ويَشْقى إنْ كانَ مُخالِفًا، ومِنْ ثَمَّ فَهُمْ يَنْصَحونَ صاحِبَ الاسْمِ بِتَغْييرِهِ لِيَسْعَدَ! مُسْتَغِلّينَ بِذَلِكَ بُسَطاءَ النّاسِ بِهَدَفِ الرِّبْحِ السَّريعِ، ومِنْ غَيرِ تَعَبٍ، مُطَبِّقينَ المَثَلَ الطَّريفَ الّذي يَقولُ: «رِزْقُ الهُبْلِ عَلى المَجانينَ». وأَميلُ أَيضًا الى التَّأْكيدِ على أَنَّ الأَسْماءَ الّتي نَخْتارُها لِأَبْنائِنا وَبَناتِنا يَجِبُ أَنْ يَأْتي اخْتِيارُنا لَها بَعْدَ تَفْكيرٍ؛ فالاسْمُ هُوِيَّةٌ فَرْدِيَّةٌ لِحامِلِهِ، تَتَضافَرُ مَعَ غَيرِها لِتُصْبِحَ هُوِيَّةً جَمْعِيَّةً/قَومِيَّةً. فإِذا ذُكِرَتْ أَسْماءٌ مِثْلُ (مُحَمَد أَو عَلِيّ أَو أَحْمدُ أَو حَسَن أَو حُسَين...) مَثَلًا عُرِفَ أَنَّ حَامِلَ أَحَدِ هذهِ الأَسْماءِ – في الأَصْلِ – عَرَبِيًّا بِلا أَدْنى شَكٍّ؛ لا كَما نَقولُ (رامي أَو سامي) مَعَ أَنَّها أَسْماءٌ عَرَبِيَّةٌ أَيضًا. أَمّا أَنْ نُسَمّيَ أَسْماءً أَجْنَبِيَّةً، فَمِنْ حَقِّ سامِعِها أَنْ يُفَسِّرَ ذلكَ دونِيَّةً مِنّا أَو خَوفًا مِنْ حاكِمٍ أَو نِفاقًا لَهُ خاصَّةً عِنْدَنا نَحْنُ عَرَبَ هذهِ البِلادِ! واخْتِيارُ أَسْماءِ الشَوارِعِ والمَعاهِدِ التَّرْبَوِيَّةِ، على أَنْواعِها، والمَحالِّ التِّجارِيّةِ تَفْقِدُ الكَثيرَ مِنْ تَأْثيرِها إِنْ لَمْ تَكُنْ هادِفَةً مُلْفِتَةً لِلِانْتِباهِ، كَأَنْ نَقولُ: مَدْرَسَةُ المُتَنَبّي لَيسَ كَما نَقولُ المَدْرَسَةُ الابْتِدائِيَّةُ (أ) أَو (ب)...ولَيسَ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ نُسَمّي مَحالَّنا التِّجارِيَّةَ كَيفَما اتَّفَقَ بَلْ عَلَينا

أَنْ نَخْتارَ الاسْمَ الجاذِبَ لا المُنَفِّرَ، حَتّى لَو احْتَجْنا إِلى اسْتِشارَةِ أَخِصّائِيّينَ نَفْسِيّينَ/اجْتِماعِيّينَ في ذَلِكَ.. ولَنْ نَكونَ مَنَ الخاسِرينَ...

(البقيعة/الجليل) 21/12/2016

الكُنْيَةُ..

جاءَ في لِسانِ العَربِ لابنِ مَنْظور(1232م-1311م) ما يَلي:«الكُنْيَةُ- على ثَلاثَةِ أَوجُهٍ، أَحَدُها أَنْ يُكْنى عَنِ الشَّيءِ الّذي يُسْتَفْحَشُ ذِكْرُهُ، والثّاني أَنْ يُكْنى الرَّجُلُ بِاسْمٍ تَوقيرًا وتَعْظيمًا، والثّالِثُ أَنْ تَقومَ الكُنْيَةُ مَقامَ الاسْمِ فَيُعْرَفُ صاحِبُها بِها» (انْتَهى الاقْتِباس).

لَمْ أَسْمَعْ عَنْ شَعْبٍ في هذا العالَمِ يُعيرُ الكُنْيَةَ اهْتِمامًا كَشَعْبِنا العَرَبِيِّ.. وحَقيقَةً هذِهِ مَزِيَّةٌ تُسَجَّلُ لِصالِحِ عاداتِنا وتَقاليدِنا العَرَبِيَّةِ - أَو على الأَقَلِّ أَنا أَعْتَبِرُها كَذلِكَ - لِنَتَخَيَلْ أَنَّ فَتًى يُنادي شَيخًا بِاسْمِهِ! كَمْ يَكونُ نِداؤُهُ ثَقيلًا على الأُذُنِ وعلى القَلبِ! وكَمْ كانَ آباؤُنا حَريصينَ على أَنْ نُنادي الكِبارَ بِكُناهُم كَما اعتادوا هُمْ أَنْ يُخاطِبوا بَعْضَهُمْ، ليسَ بِأَسْمائِهِم بَلْ بِكُناهُم، خاصَّةً بَعْدَ أَنْ يَتَزَوَّجوا ويُنْجِبوا أَبْكارَهُم. ذلِكَ تَوقيرًا وتَعْظيمًا كَما جاءَ في تَعْريفِ ابنِ مَنْظور. وهذا الأَمْرُ بِحَدِّ ذاتِهِ يُوَثِّقُ العَلاقَةَ بَينَ النّاسِ لِأَنَّ الاحْتِرامَ يُقابِلُهُ احْتِرامٌ، والاحْتِرامُ يُقَصِّرُ المَسافاتِ بَينَ القُلوبِ، فَتَنْشَأُ المَحَبَّةُ الّتي هِيَ الأَساسُ في بِناءِ مُجْتَمَعٍ صالِحٍ، حَقُّهُ الكَبيرُ

عَلَينا أَنْ نُحافِظَ عَلَى إيجابِيّاتِهِ.

وقَدْ تَقومُ الكُنْيَةُ مَقامَ الاسْمِ، فَالرَّسولُ الكَريمُ كانَ يُنادَى قَبْلَ نُزولِ النُّبُوَّةِ عَلَيهِ بِالأَمينِ لِصِدْقِهِ وأَمانَتِهِ؛ وسُمِّيَ الخَليفَةُ عُمَرُ بن الخَطّابِ بِالفاروقِ لِصِفَةِ العَدالَةِ فيهِ، وسُمِّيَ عَبْدُ العُزَّى بِأَبي لَهَبٍ لِشِدَّةِ احمِرارِ وَجْهِهِ عِنْدَ الغَضَبِ، وعُرِفَ أَبو الحَكَمِ بِأَبي جَهْلٍ، رَغْمَ حِكْمَتِهِ، لِانْتِصارِهِ لِعِبادَةِ الأَوثانِ وتَرْكِ الإِسْلام والأَمْثِلَةُ كَثيرَةٌ، فَجاءَتِ الكُنَى مَديحًا، وجاءَتْ هِجاءً، لِأَنَّ مِنْ وظائِفِ الكُنْيَةِ في اللُّغَةِ إمّا أَنْ تأْتي مادِحَةً وإمّا أَنْ تَأْتي ذامَّةً. ولَيسَ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ نَخْلِطَ بَينَ الكُنْيَةِ وبَينَ اللَّقَبِ، لِأَنَّ اللَّقَبَ يَحْمِلُ مَدْلولًا سَلْبِيًّا في أَغْلَبِ الأَحْيانِ؛ وقَدْ قالَتِ العَرَبُ: تَلاقَبَ القَومُ أَي تَسابُّوا، وهذا يُذَكِّرُنا بِشِجاراتِنا الّتي كانَتْ تَعْتَمِدُ أَكْثَرَ ما تَعْتَمِدُ على الأَلْقابِ نَتَراشَقُ بِها عِنْدَما كُنّا أَحْداثًا.. على كُلٍّ تَظَلُّ الكُنى مُسْتَساغَةً ما دامَتْ تُؤَدِّي وظائِفَها بَعيدًا عَنِ المُبالَغاتِ كَما هو حاصِلٌ في بَعْضِ الشَّرائِحِ الاجتِماعِيَّةِ على رَأْسِها الوَسَطُ الفَنِّيُّ، يَليهِ الوَسَطُ الأَدَبِيُّ.. مَعَ الاعتِذارِ لِلَّذينَ يَسْتَحِقّونَ كُناهُم!!

(البقيعة/الجليل) 28/12/2016

نَحْنُ والأَلْوانُ..

يُجْمِعُ الباحِثونَ على أَنَّ اللَّونَ أَوَّلًا وآخِرًا هو صِفَةُ الجِسْمِ، وهو إِحْساسٌ مَوجودٌ في الدِّماغِ، بِدَليلِ أَنَّ الكَثيرَ مِنَ النّاسِ يُعانونَ مِنْ ظاهِرَةِ عَمى الأَلْوانِ الّذي أَحَدُ أَسْبابِهِ الرَّئِيسِيَّةِ خَلَلٌ ما في الدِّماغِ أَو في الشَّبَكِيَّةِ لا تُعْرَفُ أَسبابُهُ سِوى أَنَّهُ وِراثِيٌّ في أَغْلَبِ الأَحْيانِ. وعادَةً ما يَكونُ عَدَمُ التَّمْييزِ بَينَ الأَحْمَرِ والأَزْرَقِ والأَخْضَرِ.. ويُجْمِعُ الباحِثونَ أَيضًا على أَنَّ الْأَلْوانَ الأَساسِيَّةَ سِتَّةٌ هي: الأَحْمَرُ والبُرْتُقاليُّ والأَصْفَرُ والأَخْضَرُ والأَزْرَقُ والبَنَفْسَجيُّ؛ واعْتَبَرَها إِسْحَق نيوتُن (1642م-1727م) سَبْعَةً بِإِضافَةِ اللَّونِ النِّيليِّ الَّذي هو بَينَ الأَزْرَقِ والبَنَفْسَجِيِّ.. أَمّا مِئاتُ الأَلْوانِ الّتي تُعْرَضُ عَلَينا عِنْدَ رغْبَتِنا بِانْتِقاءِ لَونٍ لِسَتائِرِ البَيتِ أَو لِطِلائِه مَثَلًا فَهْيَ نَتاجُ خَلْطِ لَونَينِ - أَو أَكْثَرَ- بِبَعْضِهِما البَعْضِ.. فَمِنْ أَينَ تَأْتينا الأَلْوانُ؟ إِنَّها مِنْ ضَوءِ الشَّمْسِ الأَبْيَضِ بِدَليلِ أَنَّنا لَو مَرَّرْناهُ في مَوشورٍ (وهوَ مُجَسَمٌ مِنْ بِلَّورٍ قاعِدَتُهُ مُثَلَّثَةُ الأَضْلاعِ) لَتَحَلَّلَ إِلى أَلْوانِهِ الأَساسِيَّةِ المَذْكورَةِ سابِقًا؛

وهذا ما يَحْدُثُ لِضَوءِ الشَّمْسِ عِنْدَما تُشْرِقُ أَثْناءَ سُقوطِ المَطَرِ فَنَرى قَوسَ قُزَحٍ..

هُنالِكَ مَنْ قَسَّمَ الأَلْوانَ إِلى أَلْوانٍ بارِدَةٍ وأُخْرى ساخِنَةٍ، الأُولى تَميلُ إِلى الدَّكانَةِ والقَتامَةِ، والثّانِيَةُ تَميلُ إِلى الضَّوءِ وأَلْوانِ النّارِ.. وهذا رَسَّخَ الاعْتِقادَ بِأَنَّ لِلْأَلْوانِ تَأْثيرًا على نَفْسِيَّةِ الإِنْسانِ، فالأَحْمَرُ يَبْعَثُ على النَّشاطِ، والأَصْفَرُ يُنَشِّطُ الذّاكِرَةَ، والأَخْضَرُ يُقَلِّلُ القَلَقَ والتَّوَتُّرَ، والأَزْرَقُ والوَرْدِيُّ مُهَدِّئانِ.. بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.. فَقَدْ أَجْمَعَ النّاسُ على أَنَّ الأَبْيَضَ رَمْزُ العِفَّةِ، والأَسْوَدَ رَمْزُ الحُزْنِ.. وهكذا! ولا ضَيرَ إِنْ ذَكَّرْتُ القارِئَ الكَريمَ بِبَيتِ الشِّعْرِ المَشْهورِ لِصاحِبِهِ الشّاعِرِ صَفِيِّ الدّينِ الحِلِّيِّ (1276م-1349م) وهُوَ مِنْ رائِعَتِهِ الّتي أَبْدَعَها عِنْدَما نَهَضَتْ قَبائِلُ طَيءٍ لِقِتالِ التَّتَرِ في العِراقِ، والَّتي مَطْلَعُها: سَلي الرِّماحَ العَوالي عَنْ مَعالينا

واسْتَشْهِدي البيضَ هَلْ خابَ الرَّجا فينا

يقولُ:

إِنّا لَقَومٌ أَبَتْ أَخْلاقُنا شَرَفًا

أَنْ نَبْتَدي بِالأَذى مَنْ لَيسَ يُؤْذينا

بيضٌ صَنائِعُنا سودٌ مَواقِعُنا

خُضْرٌ مَرابِعُنا حُمرٌ مَواضينا

حَتّى وإِنْ لَمْ نُصَدِّقِ اجْتِهاداتِ الباحِثينَ وتَأْويلاتِهِمْ فَهلْ حَياتُنا كانَتْ سَتُطاقُ بِدونِ أَلْوانٍ؟! إِذًا لَكانَتْ سَتَكونُ عِقابَ اللهِ لِمَخْلوقاتِهِ...

(البقيعة/الجليل) 4/1/2017

الرِّياضَةُ..

كَما أَنَّ الطَّعامَ ضَرورَةٌ حَياتِيَّةٌ كَذلِكَ هي الرِّياضَةُ.. فَبِدونِ الطَّعامِ لا بَقاءَ لِإِنْسانٍ- بَلْهَ الأَحْياءَ الأُخْرى - على هذهِ الأَرْضِ.. وبِدونِ الرِّياضَةِ أَو النَّشاطِ الجِسْمانيِّ هَلْ كانَ الجَسَدُ سِوى هَيكَلٍ عَظْمِيٍّ مَكْسُوٍّ بِاللَّحْمِ والشَّحْمِ! والنَّشاطُ الجِسْمانيُّ الّذي أَقْصِدُهُ هُو الحَرَكَةُ.. أَجَلْ! الحَرَكَةُ، بَدْءًا مِنَ المشْيِ والرَّكْضِ وصُعودِ الدِّراجِ وهُبوطِها إِلى العَمَلِ في الحَديقَةِ وفي الحَقْلِ، كُلُّ هذا قَبْلَ أَنْ تُمَنْهَجَ لِتُصْبِحَ فَنًّا لَهُ مَعاهِدُهُ الخاصَّةُ بِإِشْرافِ مُخْتَصّينَ وباحِثينَ جَعَلوا مِنْهُ عِلْمًا هامًّا في عالَمِنا المُتَحَضِّرِ الّذي نَعيشُ فيهِ.. ثُمَّ طَبَّقوهُ عَمَلِيًّا فَتَفَرَّعَ وتَشَكَّلَ إِلى أَلْعابٍ تَحْكُمُها قَوانينُ ويُسَيِّرُها حُكّامٌ وَظيفَةُ الواحِدِ مِنْهُمْ فَرْضُ الانْضِباطِ أَثْناءَ اللَّعِبِ وتَسْريبُ الرّوحِ الرِّياضِيَّةِ إِلى نُفوسِ المُتَبارينَ الَّتي هيَ التَّسامُحُ بِعَينِهِ.

لَنْ أَجْحَدَ الأَقدَمينَ فَضْلَهُمْ في تَحويلِ بَعْضِ الفُنونِ القِتالِيَّةِ إِلى رِياضَةٍ يُمارِسُها الجُنودُ كي يَظَلُّوا بِلَياقَتِهِمِ البَدَنِيَّةِ المُدَّخَرَةِ لِساحاتِ القِتالِ.. ومِنْ هُنا حَمَلَ لَنا

التّاريخُ أَخْبارَ الأَلْعابِ الأُولِمْبِيَّةِ الَّتي كانَ اليونانِيّونَ القُدامى يَحْتَفِلونَ بِها قُربَ مَدينَةِ أُولِمْبيا مُنْذُ (776ق.م) وحَتّى القَرْنِ الرّابِعِ الميلادي، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ إِلى أَنِ اسْتُحْدِثَتْ في أَواخِرِ القرنِ التّاسِعَ عَشَرَ(1896م). أَمّا صاحِبُ الفِكْرَةِ فَهو البارونُ الفَرَنْسيُّ بِيير دو كوبرتان، ولَهُ يَعودُ الفَضْلُ الأَكْبَرُ في بَعْثِها.

ويُؤَكِّدُ المُهْتَمُّونَ بِهذا العِلْمِ الهامِّ في حَياتِنا على أَنَّ الرِّياضَةَ يَجِبُ أَنْ تُمارَسَ في الهَواءِ الطَّلْقِ بَعيدًا عنْ دُخانِ السَّيَّاراتِ؛ وأَنْ لا تَكونَ قَبْلَ الأَكْلِ وبَعْدَهُ مُباشَرَةً وذلِكَ لِانْشِغالِ الدَّورَةِ الدَّمَوِيَّةِ بِعَمَلِيَّةِ هَضْمِ الطَّعامِ مِمّا يُقَلِّلُ مِنْ تَوارُدِ الدَّمِ إِلى باقي الأَعْضاءِ. أَمّا أَنْواعُ الرِّياضَةِ فَهْيَ كَثيرَةٌ، وقَدْ آتي على بَعْضِها في وَقْتٍ لاحِقٍ، وإِنْ كُنْتُ قَدْ رَكَّزْتُ على أَهَمِّيَّةِ الرِّياضَةِ في حَياتِنا وضَرورَتِها لِأَجْسادِنا فَمِنْ حَقِّها عَلَينا أَنْ نَذْكُرَ أَهَمِّيَّتَها وفَوائِدَها لِعُقولِنا ونُفوسِنا.. وهذا ما سَيَكونُ...

(البقيعة/الجليل) 11/1/2017

الرِّياضَةُ تَرْبِيَةٌ جَسَدِيَّةٌ نَفْسِيَّةٌ..

إذا اتَّفَقْنا جَدَلًا على أَنَّ الرِّياضَةَ ضَرورِيَّةٌ لِبِناءِ جِسْمٍ رَشيقٍ مَتينٍ فَهَلْ نَتَّفِقُ على أَنَّها ضَرورِيَّةٌ لِلصَّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ؟ خاصَّةً وقَدْ أُثْبِتَ عِلْمِيًّا أَنَّ الضَّرَرَ النَّفْسِيَّ إِنْ وُجِدَ، حَتّى وإِنْ كانَ بِأَبْسَطِ أَشْكالِهِ، أَي القَلَقِ، لَهُ أَثَرُهُ السَّلْبِيُّ على الجَسَدِ، والعَكْسُ بِالعَكْسِ.. عَمَلِيَّةٌ تَبادُلِيَّةٌ بِكُلِّ ما تَحْمِلُهُ الكَلِمَةُ مِنْ أَبْعادٍ.. ولِذا فَلَيسَ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ نُغْفِلَ هذا الأَمْرَ، بَلْ عَلَينا أَنْ نَعْمَلَ على تَنْمِيَةِ أَجْسامِنا بِالرِّياضَةِ الَّتي بِدَورِها توقِظُ في نُفوسِنا طاقاتٍ نائِمَةً ما كُنّا لِنُدْرِكَها.. يَكْفينا إِحْساسُنا بِكَمالِ أَجْسامِنا وبِرَشاقَتِها كَي تُحْيي فينا روحَ المَرَحِ، والدَّعابَةِ، وتَقَبُّلَ الآخَرِ على عِلّاتِهِ.. وهَلْ هُنالِكَ أَجْمَلُ مِنْ أَنْ يَتَحَوَّلَ الإِنْسانُ مِنْ شَخْصٍ انْطِوائِيٍّ إِلى آخَرَ مُنْفَتِحٍ على المُجْتَمَعِ لا بَلْ على الدُّنيا كُلِّها! وشَتّانَ ما بَينَ أَنْ نَتَقَحَّمَ دُروبَ الحَياةِ وشِعابَها بِثِقَةٍ، وبَينَ أَنْ نَتَقَحَّمَها بِدونِها، خائِفينَ مِنَ الفَشَلِ الّذي يَقودُنا صَيدًا سَهْلًا إِلى التَّرَدُّدِ.. الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ البَعيدَةُ عَنِ الغُرورِ تَغْرِسُ فينا حُبَّ الإِقْدامِ، وعَدَمَ الخَوفِ لا بَلْ

تَحَمُّلَ نَتائِجِ العَمَلِ الّذي نُقْدِمُ عَليهِ بِرِضًى إِنْ تَحَقَّقَ لَنا ما نُريدُ، وبِالقُدْرَةِ على إِعادَةِ التَّجْرِبَةِ إِنْ فَشِلْنا في تَحْقيقِ ما نُريدُ.

الجِسْمُ الجَميلُ لِلنّاسِ العادِيّينَ دونَ المُحْتَرِفينَ، هو الجِسْمُ المُنْتَصِبُ بِرِأْسٍ مَرْفوعٍ وصَدْرٍ مَدْفوعٍ إِلى الأَمامِ، وبِخَصْرٍ ضامِرٍ، وبِساقَينِ لا هُما بِالعَبْلَتينِ ولا هُما بِالدَّقيقَتَينِ.. جِسْمٌ كَهذا قَريبُ المَنالِ بِقَليلٍ مِنِ الوَقْتِ نَقْتَطِعُهُ يَومِيًّا أَو أُسْبوعِيًّا ونُخَصِّصُهُ لِلْمَشْيِ أَو لِلرَّكْضِ أَو لِلسِّباحَةِ أَو لِأَلْعابِ الكُرَةِ على تَعَدُّدِ أَشْكالِها... بِجِسْمٍ كَهذا يَعيشُ الإِنْسانُ مُرْتاحًا في نَومِهِ وفي صَحْوِهِ، وفي قِيامِهِ وفي قُعودِهِ، وفي هُبوطِهِ وفي صُعودِهِ.. مُحَقِّقًا بِذلِكَ الرّاحَتَينِ: الجِسْمِيَّةَ والنَّفْسِيَّةَ.

بِناءُ الأَجْسامِ لَيسَ مَقْصورًا على الرِّياضِيّينَ المُحْتَرِفينَ فَقَطْ؛ بَلْ هُو مَطْلَبُ كُلِّ إِنْسانٍ حَضارِيٍّ يُريدُ حَياةً هانِئَةً بِجِسْمٍ بِدونِ كَرِشٍ مُنْدَلِقَةٍ إِلى الأَمامِ، وخاصِرَتَينِ مُنْتَفِخَتَينِ كَإِطارِ سَيّارَةٍ!!!

(البقيعة/ الجليل) 18/1/2017

كُرَةُ القَدَمِ

لَقَدْ أَحْسَنَ القَيِّمونَ على لُعْبَةِ كُرَةِ القَدَمِ في عالَمِنا هذا صُنْعًا عِنْدَما جَعَلوا مِنْ هذهِ اللُّعْبَةِ لِقاءً دَورِيًّا يُقَرِّبُ ما بَينَ الشُّعوبِ، مُسْتَقْطِبًا مِئاتِ المَلايينِ مِنْ هُواةِ هَذِهِ اللُّعْبَةِ.. وَقَدْ أَساؤُوا صُنْعًا بِقَدْرِ ما أَحْسَنُوا حينَما حَوَّلوها إلى لُعْبَةٍ يَتَحَكَّمُ فيها مَبْدَأُ الرِّبْحِ والخَسارَةِ بِبَني البَشَرِ!! فَما الفَرْقُ بَينَ سوقِ النِّخاسَةِ وما كانَ يَحْدُثُ فيها مِنْ شِراءٍ وَمِنْ بَيْعٍ، وبَيْنَ النَّوادي الرِّياضِيَّةِ العالَمِيَّةِ والمَحَلِّيَّةِ لِلاعِبينَ قَدْ بَزُّوا أَقْرانَهُم في هذا المَجالِ.. والأَدْهى مِنْ ذَلكَ وأَمَرُّ هو إجازَةُ الإعارَةِ؛ أَي أَنْ يَسْتَعيرَ نادٍ رِياضِيٌّ ما لاعِبًا حاذِقًا منْ نادٍ آخَرَ بِأَجْرٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ بَينَ الفَريقَينِ على أَنْ يَسْتَعيدَ الفَريقُ لاعِبَهُ المُعارَ بِانْتِهاءِ المُدَّةِ المُتَّفَقِ عَلَيها.. أَمّا المَبالِغُ المُفاوَضُ عَلَيها فَتُحَدَّدُ بِمَدى شُهْرَةِ اللّاعِبِ، فَإِنْ كانَ ذا شُهْرَةٍ عالَمِيَّةٍ فَالمَبْلَغُ يَصِلُ إلى مَلايينِ الدّولاراتِ! وفي خِضَمِّ هذا الانْزِياحِ إلى الرِّبْحِ المادِّيِّ، فَبَدَيهِيٌّ أَنْ يَكونَ على حِسابِ الرُّوحِ الرِّياضِيَّةِ الّتي يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِها الرِّياضِيُّ، فَحَلَّتِ العَصَبِيَّةُ بَدَلَ

الهُدوءِ عِنْدَ اللّاعِبينَ والمُدَرِّبينَ، والعُنْفُ بَدَلَ التَّسامُحِ، يَصِلُ إلى حَدِّ التَّشاتُمِ والتَّشابُكِ بِالأَيدي في كَثيرٍ مِنَ الأَحْيانِ، وهذا بِدَورِهِ يَنْتَقِلُ إلى المُتَفَرِّجينَ لِتُصْبِحَ المَلاعِبُ الرِّياضِيَّةُ ساحاتِ حَرْبٍ لا ساحاتِ لَعِبٍ.. أَمّا في بِلادِنا، وبِالإِضافَةِ إلى كُلِّ ما تَقَدَّمَ فَلِلتَّعَصُّبِ القَومِيِّ النَّصيبُ الأَوفَرُ في وَأْدِ التَّعايُشِ بَينَ الشَّعْبَينِ: العَرَبِيِّ واليَهودِيِّ.. والمَطْلوبُ في ملاعِبِنا أَكْثَرَ مِنْ ملاعِبِ الآخَرينَ، الرُّوحُ الرِّياضِيَّةُ والتَّسامُحُ مَعَ الآخَرِ لِتَخْفيفِ حِدَّةِ التَّوَتُّرِ بَينَ الشَّعْبَينِ.

والسُّؤَالُ الَّذي يَحْمِلُ الكَثيرَ مِنَ العَتَبِ على (الفيفا - الاتِّحاد الدَّولي لِكُرَةِ القَدَم، تَأَسَّسَتْ سَنَةَ 1904م في باريس، ومَقَرُّها في زيورخ- سويسرا)، وعلى القَيِّمينَ على الرِّياضَةِ في المَلاعِبِ.. لِماذا وَصَلَ الوَضْعُ إلى هذهِ الدَّرَجَةِ مِنَ التَّسَفُّلِ، والأَمْرُ والنَّهْيُ يَعودُ إِلَيهِمْ وهُمُ السُّلْطَةُ العُليا في هذا المِضْمارِ..!؟

(البقيعة/الجليل) 1/2/2017

المُصارَعَةُ وأَخَواتُها..

أَحْمَدُ اللهَ على أَنَّني كَبِرْتُ وَوَجَدْتُ نَفْسي، بِفَضْلِ مَنْ رَبَّوني وعَلَّموني، مُحِبًّا لِحَياةٍ مِلْؤُها الوِفاقُ والسَّلامُ.. بَعيدًا عَنْ كُلِّ أَشْكالِ العُنْفِ - وما أَكْثَرَها في أَيّامِنا هذِهِ! - ولِذا فَقَدْ وَجَدْتُ نَفْسي مُنْحازًا إِلى اللَّعِبِ الّذي تَسودُهُ الأَخْلاقُ السّامِيَةُ، والتَّنافُسُ الشَّريفُ لِلْحُصولِ على المَراتِبِ الرِّياضِيَّةِ المُتَقَدِّمَةِ.. أَحْبَبْتُ مِنَ الأَلْعابِ الأُولِمْبِيَّةِ سِباقَ الجَرْيِ لِلْمَسافاتِ بِأَنْواعِها، وسِباقَ السِّباحَةِ بِأَنْواعِها، وكَذلِكَ أَحْبَبْتُ رَمْيَ القُرصِ، والرُّمْحِ، والقَفْزَ بِنَوعَيهِ: العَريضِ والعالي وما إِلى ذلكَ مِنْ أَلْعابٍ تُنَمِّي في اللّاعبِ (والمُتَفَرِّجِ) نَزْعَةَ الوُصولِ إِلى ما تَتوقُ إِلَيهِ النَّفْسُ البَشَرِيَّةُ مِنَ الرُّقِيِّ، وكَرَمِ الأَخلاقِ، ومِنْ تَحَدِّي الذّاتِ بِإِخْراجِ الطّاقاتِ الإيجابِيَّةِ والبَنّاءَةِ الكامِنَةِ فيها. وكَثيرًا ما أَتَساءَلُ: لِماذا لا يُلْغي القَيِّمونَ على الرِّياضَةِ العالَمِيَّةِ كُلَّ رِياضَةٍ أَساسُها العُنْفُ، وقَوامُها العِزَّةُ لِلْغالِبِ، والمَذَلَّةُ لِلْمَغْلوبِ!! كَالمُصارَعَةِ والمُلاكَمَةِ وأَخَواتِهِما.. كَيفَ يُمْكِنُ لِإِنْسانٍ، أَيًّا كانَ، أَنْ

يَجْلِسَ بِالسّاعاتِ أَمامَ التِّلِفِزْيونِ يُشاهِدُ شَخْصَينِ يَعْصِرُ أَو يَلْكُمُ أَحَدُهُما الآخَرَ كي يُحْرِزَ انْتِصارًا (وَهْمِيًّا) لا قيمَةَ لَهُ، خاصَّةً لِأَنَّهُ على حِسابِ كَرامَةِ مُنافِسِهِ وَقَدْ بَدَتْ عَلَيهِ عَلاماتُ الهَزيمَةِ مِنْ وَهَنٍ وَخَجَلٍ يَشُدّانِ بِهِ إِلى الحَضيضِ.. حَتّى المُتَفَرِّجُ لا يَسْلَمُ مِنْ أَذى هذِهِ الأَلْعابِ؛ فَقَدْ أُثْبِتَ عِلْمِيًّا أَنَّ هُواةَ المُصارَعَةِ والمُلاكَمَةِ- بَلْهَ مُصارَعَةَ الثّيرانِ!!!- هُمْ أُولَئِكَ الَّذينَ يَميلونَ إِلى السَّادِيَّةِ طَبْعًا! فَلا عَجَبَ أَنْ تَراهُمْ يَتَلَذَّذونَ على تَعْذيبِ الآخَرينَ.. ولَيسَ خافِيًا على أَحَدٍ كَمْ مِنَ القَسْوَةِ في هاتَينِ اللُّعْبَتَينِ وغَيرِهِما مِنَ الأَلْعابِ الّتي تَعْتَمِدُ على القُوَّةِ الجَسَدِيَّةِ والعُنْفِ كالكُرَةِ الأَمْريكِيَّةِ، ولِخُطورَتِها يَلْبَسُ اللّاعِبونَ الخوذاتِ الواقِيَةَ لِلرَّأْسِ، وأَرْدِيَةً خاصَّةً لِوِقايَةِ الأَكْتافِ وباقي الأَعْضاءِ.

رُبَّ مُعْتَرِضٍ يَقولُ: هذِهِ الأَلْعابُ لِلْأَقْوِياءِ فَقَطْ، ولا مَكانَ لِلضُّعَفاءِ فيها! أَقولُ: زوروا اليونانَ، وسَتَجِدونَ أَثينا عاصِمَةً زاهِرَةً، وإِسْبارْطَةَ مُجَرَّدَ أَطْلالٍ!

(البقيعة الجليل) 8/2/2017

الشَّطْرَنْجُ..

الشَّطْرَنْجُ أَو الشِّطْرَنْجُ لُعْبَةٌ ذِهْنِيَّةٌ شَهيرَةٌ، لا بَلْ هي أَشْهَرُ الأَلْعابِ الذِّهْنِيَّةِ في العالَمِ! واللَّعِبُ يَتِمُّ على رُقْعَةٍ مُرَبَّعَةٍ مُقَسَّمَةٍ إِلى اثْنَينِ وثَلاثينَ مُرَبَّعًا بِالأَبْيَضِ، وإِلى مِثْلِها بِالأَسْوَدِ. وبِثَمانِيَةِ جُنودٍ أَو(بَيادِق) وبِقَلْعَتَينِ أَو(رُخ) وبِفيلَينِ وَوَزيرٍ أَو(مَلِكَةٍ) وبِمَلِكٍ أَو(شاه).. يَقومُ بِاللَّعِبِ لاعِبانِ اثْنانِ، بِيَدِ كُلٍّ مِنْهُما الحِجارَةُ الّتي أَسْمَيناها سابِقًا. لِهذِهِ اللُّعْبَةِ - كَمَا لِكُلِّ لُعْبَةٍ - قَواعِدُ وأَهْدافُ.. وهَدَفُ اللّاعِبِ هُنا أَنْ يُحَرِّكَ حِجارَتَهُ بِحَيثُ يَصِلُ إِلى التَّغَلُّبِ على الخَصْمِ بِانْتِصارِ مَلِكِهِ وحَصْرِ المَلِكِ في مُرَبَّعٍ لا يَسْتَطيعُ التَّحَرُّكَ؛ لِتَنْتَهي اللُّعْبَةُ بِتَسْجيلِ نُقْطَةٍ واحِدَةٍ لِصالِحِ الرَّابِحِ. مُلَخَّصُ هذهِ اللُّعْبَةِ الذِّهْنِيَّةِ أَنْ يَموتَ الجَميعُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْتَصِرَ مَلِكٌ ويُحاصَرَ آخَرُ؛ ناسينَ أَو مُتَناسينَ أَنَّ هذهِ اللُّعْبَةَ لُعْبَةٌ ذِهْنِيَّةٌ قِتالِيَّةٌ لا أَكْثَرَ!!!

لَنْ أَدْخُلَ بِتَفاصيلِ تاريخِ نَشْأَةِ لُعْبَةِ الشَّطْرَنْجِ، وأَكْتَفي بِذِكْرِ بَعْضِ الآراءِ فَقَطْ.. فَقَدْ قيلَ إِنَّها خَرَجَتْ مِنَ الهِنْدِ، وقيلَ هيَ لُعْبَةٌ صينِيَّةٌ ومِنَ الصّينِ انْتَقَلَتْ إِلى أَوروبّا

وباقِي أَقْطارِ العالَمِ. وعَلى الأَرْجَحِ إِنَّها لُعْبَةٌ هِنْدِيَّةٌ.. فَقَدْ انْتَبَهَ أَحَدُ وُزَراءِ أَحَدِ مُلُوكِ الهِنْدِ إِلى حالَةِ المَلَلِ الحاصِلَةِ لِمَلِكِهِ فَفَكَّرَ بِإيجادِ ما يُسَلِّيهِ، ويُزيلُ عَنْهُ حالَةَ المَلَلِ تِلْكَ؛ وبَعْدَ تَفْكيرٍ طَويلٍ تَوَصَّلَ إِلى هذهِ اللُّعْبَةِ، فَفَرِحَ المَلِكُ كَثيرًا وأَحَبَّ أَنْ يُكافِئَ وَزيرَهُ الذَّكِيَّ، فَقالَ لَهُ: اطْلُبْ! فَقالَ الوَزيرُ: لا أُريدُ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً، بَلْ أُريدُ حَبَّةَ قَمْحٍ في المُرَبَّعِ الأَوَّلِ ثُمَّ تُضاعِفُ لي عَدَدَ الحَبّاتِ في كُلِّ مُرَبَّعٍ بَعْدَ ذلِكَ. فَاسْتَهانَ المَلِكُ بِطَلَبِ الوَزيرِ إِلى أَنِ اكْتَشَفَ أَنَّهُ لا يَسْتَطيعُ تَلْبِيَةَ الطَّلَبِ لِضَخامَةِ الرَّقْمِ الَّذي سَيَتَوَصَّلُ إِلَيهِ والمُكَوَّنِ مِنْ عِشْرينَ رَقْمًا، وهذا يَكْفي لِتَغْطِيَةِ اليابِسَةِ بِالقَمْحِ الى ارْتِفاعِ (11) مِلِّمِتْرًا.

مَعَ احْتِرامي وتَقْديري لِهُواةِ الشِّطْرَنْجِ، وبِالرَّغْمِ مِنْ كَونِها لُعْبَةً ذِهْنِيَّةً عالَمِيَّةً أَراها لُعْبَةً تُنَمّي الطّاقاتِ القِتالِيَّةَ عِنْدَ اللّاعِبين!! لا بَلْ هيَ انْتِصارٌ لِلْمُلوكِ والقادَةِ.. وما أَبْعَدَها عَنْ طَبَقاتِ الشَّعْبِ المَسْحوقَةِ والمَغْلوبَةِ على أَمْرِها، والمَنْكوبَةِ بِمُلوكِها وبِحُكّامِها!

أَنْتَظِرُ بِفارِغِ الصَّبْرِ أَنْ تَنْزِلَ هَذِهِ اللُّعْبَةُ عَنْ عَرْشِها!

(البقيعة/الجليل) 15/2/2017

الكُرْسي..

ما زالَتِ الذّاكِرَةُ تَعْبَقُ بِذِكْرَياتِ الطُّفولَةِ والصِّبا! لِمَ لا والعَقْلُ لا يَزالُ في صُعودٍ، والحافِظَةُ على أَ شُدِّها.. ومِمَّا عَلِقَ بِالذَاكرَةِ لُعْبَةٌ كُنّا نَلْعَبُها بِإِشْرافِ مُعَلِّمِ التَّرْبِيَةِ البَدَنِيَّةِ في حِصَّةِ الرِّياضَةِ هي لُعْبَةُ الكَراسيِّ؛ تَتَلَخَّصُ بِأَنْ يَقِفَ اللّاعِبونَ بِشَكْلٍ دائِرِيٍّ حولَ كَراسٍ أَقَلَّ مِنْ عَدَدِ المُشْتَرِكينَ بِكُرْسِيٍّ واحِدٍ. وبِسَماعِ صَفْرَةِ المُعَلِّمِ يَبْدَأُ اللّاعِبونَ بِالدَّوَرانِ رَكْضًا حَولَ الكَراسِيِّ؛ وبِسَماعِ صَفْرَةِ المُعَلِّمِ الثّانِيَةِ يَتَسابَقُ اللّاعِبونَ لِيَفوزَ كُلٌّ مِنْهُمْ بِكُرْسِيٍّ يَجْلِسُ عَلَيهِ، لِيَبْقى واحِدٌ مِنْهُمْ بِلا كُرْسِيٍّ فَيَكونَ الخاسِرَ ويَخْرُجَ مِنَ اللَّعِبِ لِتُعْلِنَ صَفْرَةُ المُعَلِّمِ بِالدَّوَرانِ مِنْ جَديدٍ بَعْدَ إِنْقاصِ عَدَدِ الكَراسيِّ بِكُرْسِيٍّ واحِدٍ لِيَظَلَّ عَدَدُ اللّاعِبينَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ الكَراسِيِّ بِكُرْسِيٍّ واحِدٍ. وتَدورُ اللُّعْبَةُ على نَفْسِها إِلى أَنْ تَنْتَهِيَ بِلاعِبَيْنِ اثْنَينِ، وبِكُرْسِيٍّ واحِدٍ لِيَكونَ مِنْ نَصيبِ أَحَدِهِما هُوَ الفائِزُ..

لَكَأَنَّ هَذِهِ اللُّعْبَةَ قَدِ احْتَلَّتْ أَدْمِغَتَنا، وعَشَّشَتْ في لا

وَعْينا، لا بَلْ تَمازَجَتْ مَعَ جيناتِنا فَأَورَثْناها لِأَولادِنا وَأَحْفادِنا مِنْ بَعْدِنا.. أَلَيْسَتِ الانْتِخاباتُ لِمَجالِسِنا المَحَلِّيَّةِ - ولْنَتْرُكِ القُطْرِيَّةَ والعالَمِيَّةَ جانِبًا! - صورَةً ناطِقَةً عَنْ لُعْبَةِ الكَراسِيِّ الَّتي أَطْنَبْنا في شَرْحِها، مَعَ فارِقٍ كَبيرٍ بَينَهُما!! وإذا كانَتْ لُعْبَةُ الطُّفولَةِ مِنْ أَجْلِ التَّلَهّي، وإِذْكاءِ روحِ التَّنافُسِ الشَّريفِ عِندَ الصِّغارِ، فَهي عِندَ الكِبارِ – مَعَ شَديدِ الأَسَفِ - أَقولُ: إِنَّها لُعْبَةٌ قَدْ فَقَدَتْ بَراءَتَها، وسادَها الغِشُّ والكَذِبُ والرِّشى والوُعودُ الَّتي تولَدُ مَيِّتَةً.. وأَصْبَحَ الوُصولُ إِلى الكُرْسِيِّ غايَةً، ولا تَهُمُّ الوَسائِلُ الموصِلَةُ إِلَيها!!

لَقَدْ كانَ كُرْسِيُّ الطُّفولَةِ مِنْ خَشَبٍ وعلى أَرْضِ المَلْعَبِ.. أَمّا كُرْسِيُّ الرِّئاسَةِ فَهُوَ منَ الإِسْفَنْجِ والجُوخِ، وهُوَ يُناطِحُ السَّماءَ! والجالِسُ عَلَيْهِ – على الأَغْلَبِ- لا يُبْصِرُ، ولا يَسْمَعُ نِداءَ المُحْتاجينَ لِعَونِهِ في أَبْسَطِ أُمورِهِمْ إِلّا إِذا كانوا مِنَ المُقَرَّبينَ.. والمُقَرَّبونَ أَولى بِالمَعْروفِ...!!!

(البقيعة/الجليل) 22/2/2017

العَصا..

جاءَ في (المُنْجِد في اللُّغة والأَعْلامِ).. العَصا: الاجْتِماعُ والائْتِلافُ وجَمْعُها عُصِيّ وعِصِيّ وأَعْصٍ وأَعْصاءٍ ومُثَنّاها عَصّوان وهي مُؤَنَّثَةٌ.. وهي العودُ وما يُتَّوَكَأُ عَلَيهِ والمَعْروفُ بِالعُكّازِ أَو العُكّازَةِ. قيلَ سُمِّيَتِ العَصا عَصًا لِأَنَّ اليَدَ والأَصابِعَ تَجْتَمِعُ عَلَيها، مَأْخوذٌ مِنْ عَصَوتُ القَومَ إِذا جَمَعْتُهُمْ على خَيرٍ أَو شَرٍّ. وقَدْ قالَتِ العَربُ: (شَقَّ العَصا) أَي خالَفَ جَماعَتَهُ، و(قَرَعَ لَهُ العَصا) أَي نَبَّهَهُ، و(قَشَرَ لَهُ العَصا) أَي أَبْدى لَهُ ما في ضَميرِهِ، و(قَرَعَهُ بِعَصا المَلامَةِ) أَي بالَغَ في عَذْلِهِ، و(أَلْقى المُسافِرُ العَصا) أَي بَلَغَ مَوضِعَهُ، و(أَلْقى عَصا التَّرْحالِ) أَي أَقامَ، و(هُمْ عَبيدُ العَصا) أَي يَهابونَ مَنْ آذاهُمْ، و(فُلانٌ لَيِّنُ العَصا) أَي رَقيقٌ لَيِّنٌ حَسَنُ السِّياسَةِ وعَكْسُها (صُلْبُ العَصا)...

أَتَساءَلُ: كَمْ كانَ أَجْدادُنا وآباؤُنا وشُيوخُ القَريَةِ كافَّةً مُحِقّينَ بِحَمْلِ العَصا لِما لَها مِنْ دَوْرٍ هامٍّ في حَياتِهِمْ، قَبْلَ أَنْ تَكونَ وَصْفَةَ طَبيبٍ، أَو رَفيقَةَ عاجِزٍ.. كانَتْ عِصِيُّهُمْ

مَصْنوعَةً بِأَياديهِمْ مِنْ شَجَرِ السِّنْدِيانِ أَو الزَّعْرورِ أَو السُّوَّيدِ، المُتَوَفِّرِ في أَراضي القَرْيَةِ وأَحْراجِها، لِصَلابَةِ أَخشابِ هذا النَّوعِ مِنَ الأَشْجارِ. كانوا يَحْمِلونَها بِقَبَضَاتٍ على شَكْلِ رَأْسِ أَفْعى، أَو رَأْسِ عُصْفورَةٍ؛ أَو تَكونُ عَقْفاءَ مُتَعَدِّدَةَ الوَظائِفِ! ومَهْما تَعَدَّدَتْ صُوَرُها وأَشْكالُها، إِلّا أَنَّها الْتَقَتْ بِما تُسْبِغُهُ العُكّازَةُ مِنْ وَقارٍ على حامِلِها.. صورَةٌ تَرَسَّخَتْ في ذِهْني، ورَأَيْتُ فيها تُراثًا لَيسَ مْنَ الحِكْمَةِ التَّنازُلُ عَنْهُ؛ وعَلامَةً فارِقَةً لِابْنِ القَرْيَةِ الّذي خَرَجَ مِنَ الأَرْضِ فَأَكَلَ مِنْ خَيرِها، واتَّكَأَ على عَصًا مِنْ سِنْدِيانِها مُسْتَلْهِماً أَمْثالَهُ وحِكْمَتَهُ مْنْها.. فَلَيسَ كَثيرًا، ولا مُسْتَهْجَنًا إِنْ أَبْقَيتُ على عادَةٍ تُراثِيَّةٍ أَخَذْتُها عَنْ أَجْدادٍ أَحْبَبْتُهُمْ فَأَحْبَبْتُها! فَحَمَلْتُ عَصًا لَيسَ لِحاجَةٍ طِبِّيَّةٍ بَلْ لِأَنَّها صِلَةُ رَحِمٍ بَيني وبَينَ مَنْ أَحْبَبْتُ..

(البقيعة/الجليل) 1/3/2017

السُّبْحَةُ..

وَعَيْتُ على الدُّنْيا وأَنا أَرى في يَدِ والِدي سُبْحَةً (أَو مِسْبَحَةً) ذاتَ تِسْعٍ وتِسْعينَ خَرَزَةً مُقَسَّمَةً إِلى ثَلاثَةِ أَقْسامٍ، في كُلِّ قِسْمٍ ثَلاثٌ وثَلاثونَ خَرَزَةً تَجْتَمِعُ تَحْتَ خَرَزَةٍ أَسْطُوانِيَّةِ الشَّكْلِ تُعْرَفُ بالمِئْذَنَةِ (أَو بِالمَنارَةِ)، يَفْصِلُ بَينَها خَرَزَتانِ تَخْتَلِفانِ شَكْلًا عَنْ خَرَزاتِ السُّبْحَةِ وتُسَمَّيانِ شاهِدَينِ.. ومِنْ إِجابَاتِهِ على أَسْئِلَتي عَرَفْتُ أَنَّ عَدَدَ الخَرَزاتِ بِعَدَدِ أَسْماءِ اللهِ الحُسْنى والّتي هي تِسْعَةٌ وتِسْعونَ اسْمًا.. وأَنَّ السُّبْحَةَ قَدْ أَخَذَتِ اسْمَها مِنَ التَّسْبيحِ.. أَي تَسْبيحِ الخالِقِ عَزَّ وجَلَّ.. إِذًا هي رَمْزٌ دينِيٌّ أَوَّلًا؛ بِدَليلِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَقَلَّدَها هُمْ رِجالُ الدّينِ على مَرِّ العُصورِ.. بَعْدَها انْتَشَرَتْ بَينَ الخاصَّةِ كِي يِزْدادُوا بِحَمْلِها وَقارًا واحْتِرامًا.. ومِنْ ثَمَّ وَصَلَتْ إِلى العامَّةِ لا بِخَرَزاتِها التِّسْعِ والتِّسْعينَ بَلْ بِثُلْثِها، فَعُرِّفَتْ بالسُّبْحَةِ الثُّلْثِيَّةِ.. وهُناكَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّها سُبْحَةٌ نَصْرانِيَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَ خَرَزاتِها بِعَدَدِ السَّنَواتِ الّتي عاشَها يَسوعُ المَسيح عَلَيْهِ السَّلامُ.. واللهُ أَعْلَمُ!

لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ شَعْبًا يَهْتَمُّ بالسُّبْحَةِ كَشَعْبِنا العَرَبِيِّ، فَهي في جُيوبِ وأَيادي الشّيبِ والشَّبابِ؛ خاصَّةً وقَدْ أَصْبَحَتْ بِثَلاثٍ وثَلاثينَ خَرَزَةً، وغابَ عَنْها مَدْلولُها الدّينِيُّ، لِتصْبِحَ مَوروثًا اجْتِماعِيًّا يَتَوارَثُهُ الأَبْناءُ عَنِ الآباءِ والأَجْدادِ، ولِتَكْتَسِبَ قيمَةً مَعْنَوِيَّةً كُبْرى، إِذْ تَجِدُ مَنْ يَقولُ لَكَ بِانْتِشاءٍ وفَخْرٍ: هذهِ سُبْحَةُ جَدّي، وَرِثْتُها عَنْ أَبي..

يَخْفى على كَثيرينَ أَنَّ لِلسُّبْحَةِ فَوائِدَ، أَوَّلُها امْتِصاصُ التَّوَتُّرِ عِنْدَ حامِلِها وصَرْفِهِ لا شُعورِيًّا.. وثانيها تَعْمَلُ على جَعْلِ العَقْلِ مُتَيَقِّظًا وحَثِّهِ على التَّفكيرِ لِما بَينَ تَحْريكِ الأَصابِعِ والعَقْلِ مِنْ تَواصُلٍ وتَفاعُلٍ.. فَقَدْ عَلَّمَنا التّاريخُ أَنَّ نُزولَ الإِنْسانِ قَبْلَ مَلايينِ السِّنينَ عَنِ الشَّجَرِ، وانْتِصابَهُ على قَدَمَيهِ، قَدْ حَرَّرَ لَهُ يَدَيهِ، وبِتَناوُلِهِ الأَشْياءَ وأَخْذِها بِيَدَيهِ المُحَرَّرَتَينِ كانَتا الخُطْوَةَ الأولى في إِعْمالِ عَقْلِ الإِنْسانِ وتَفْكيرِهِ!

(البُقيعة الجَليل) 8/3/2017

الحُبُّ.. المَحَبَّةُ..

جاءَ في مُعْظَمِ مَعاجِمِ العَرَبِيَّةِ أَنَّ (الهَوى) أَوَّلُ مَراتِبِ الحُبِّ، ثُمَّ (الكَلَفُ) وهو الوُلوعُ بِالشَّيءِ مَعَ شُغْلِ قَلْبٍ ومَشَقَّةٍ، ثُمَّ (العِشْقُ) وهو الإِفْراطُ في الحُبِّ - ويكونُ في عَفافٍ أَو دَعارَةٍ - ثُمَّ الشَّغَفُ وهو أَقْصى الحُبِّ، ثُمَّ (اللَّوعَةُ) وهي حُرْقَةُ الهَوى والوَجْدِ، أَو لاعِجُ الهَوى، ثُمَّ (التَّيْمُ) وهو المُسْتَعْبَدُ لِلْحُبِّ، وقَدْ يَصِلُ بِصاحِبِهِ (المُتَيَّم) إِلى ذَهابِ العَقْلِ وفَسادِهِ، ثُمَّ (التَّبْلُ) وهو السَّقَمُ بِسَبَبِ الحُبِّ فَيُقالُ (رَجُلٌ مَتْبولٌ) ثُمَّ (الدَّلَهُ) فَيُقالُ (رَجُلٌ مُدَلَّهٌ) أَي السّاهي القَلْبِ، والذّاهِبُ العَقْلِ مِنَ العِشْقِ، ثُمَّ (الهُيامُ) وهو الجُنونُ مِنَ العِشْقِ.

إِذًا لِلْحُبِّ دَرَجاتٌ تَدُلُّ عَلى عَلاقَةِ العاشِقِ بِالمَعْشوقِ.. فَهَلْ لِلْمَحَبَّةِ دَرَجاتٌ؟! أَقولُ: لا! فَقَدْ حَمَلَتْ لَنا مَعاجِمُ اللُّغَةِ تَفْسيراتٍ أَبْهَتُها ما جاءَ في لِسانِ العَرَبِ إِذْ قالَ: المَحَبَّةُ اسْمٌ لِلْحُبِّ.. وهذا الشَّرحُ لا يُوفي الكَلِمَةَ حَقَّها.. ولِذا فَأَنا أَميلُ إِلى ما جاءَ في مُحيطِ المُحيطِ لِصاحِبِهِ بُطْرُس البُسْتاني (1898- 1969م) الّذي قالَ: إِنَّ المَحَبَّةَ مَيلُ

الطَّبْعِ إِلى الشَّيءِ المُلِذِّ، ويُقابِلُها البُغْضُ وهو نُفورُ الطَّبْعِ مِنَ المُؤْلِمِ والمُتْعِبِ..

لَيسَ مِنَ النَّباهَةِ أَنْ نَكْتَفِيَ بِما جاءَ في مَعاجِمِ اللُّغَةِ، لِأَنَّ المُفْرَدَةَ بَعْدَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المُعْجَمِ تَأْخُذُ أَبْعادًا أُخْرى على رَأْسِها البُعْدُ الاجْتِماعِيُّ الَّذي يُكْسِبُها المَعْنى المُتَّفَقَ عَلَيهِ بَينَ النّاسِ كَأَنْ نَقولُ مَثَلاً (فُلان يَقْرُشُ رَأْسَ الحَيَّةِ) أَي مِطْماعٌ يَأْكُلُ حُقوقَ الآخَرينَ دونَ تَأْنيبِ ضَميرٍ؛ وعلى هذا قِسْ! وإِذا كانَ الحُبُّ على مُخْتَلِفِ دَرَجاتِهِ لا يَأْخُذُ بُعْدًا، ولا يَزيدُ عَنْ كَونِهِ عَلاقَةً بَينَ شَخْصَينِ اثْنَينِ فَالمَحَبَّةُ لَها بُعْدُها الإِنْسانِيُّ الَّذي يَحْمِلُ في طَيَّاتِهِ المَعاني الكَثيرَةَ الَّتي تَرْبِطُ الإِنْسانَ بِالإِنْسانِ كَالعِشْرَةِ الحَسَنَةِ، والتَّوقِ إِلى رُؤْيَةِ الآخَرِ وإِلى مُجالَسَتِهِ، والحاجَةِ الرّوحانِيَّةِ - لا المادِّيَّةِ - إِلَيهِ؛ ولا نَنْسى الدِّفْءَ الَّذى يَسودُ ويَقودُ حَياةَ الزَّوجَينِ بَعْدَ أَنْ تَخْبوَ نارُ الحُبِّ المُتَأَجِّجَةِ!

(البقيعة/الجليل) 15/3/2017

الكَراهِيَةُ..

يُعَرِّفُ سيغمون فرويد(1856م-1939م) الكَراهِيَةَ بِأَنَّها رَغْبَةُ الشَّخْصِ في تَدْميرِ مَصْدَرِ تَعاسَتِهِ أَو حُزْنِهِ أَو الكُرْهِ إِليهِ.. ولِذا فَقَدِ اعْتَبَرَها البَعْضُ مِنَ الأَمراضِ النَّفْسِيَّةِ الخَفِيَّةِ الّتي تَسْكُنُ في الصُّدورِ، وكَثيرًا ما تَلْتَقي مَعَ الحَسَدِ.. واعْتَبَرَها آخَرونَ مَشاعِرَ انْسِحابِيَّةً لِعَدَمِ قُدْرَةِ الكارِهِ على مُواجَهةِ المَكْروهِ، خاصَّةً إِذا كانَ الشَّخْصُ المَكْروهُ مُتَفَوِّقًا عَلَيهِ في أَيِّ مَجالٍ مِنْ مَجالاتِ الحَياةِ.. أَو لِنِعْمَةٍ يَتَحَسَّرُ عَلَيها وقَدْ حَلَّتْ على إِنْسانٍ غَيرِهِ.

لَسْتُ طَبيبًا نَفْسِيًّا ولَنْ أَكونَ! ولكِنِّي أَذْكُرُ ما ذَكَرْتُ مِنْ بابِ العِلْمِ بِالشَّيءِ وتَقْديمِ فِكْرَةٍ عِلْمِيَّةٍ لِلْقارِئِ الكَريمِ عَنْ أَحاسيسَ لا نَسْتَطيعُ بِسُهولَةٍ تَحْديدَها قَدْ تُساعِدُهُ في فَهْمِ ظاهِرَةٍ اجْتِماعِيَّةٍ إِنْ تَفَشَّتْ بَينَ النّاسِ رَحَلَ الحُبُّ عَنْهُمْ، في وَقْتٍ عَصيبٍ نَعيشُهُ ما أَحْوَجَنا إِلى المَحَبَّةِ كي نَظَلَّ مُجْتَمَعًا مُتَماسِكًا وصالِحًا يَلفُظُ بُذورَ الكَراهِيَةِ.

قَدْ تَكونُ الكَراهِيَةُ مِنْ طِباعِ البَشَرِ.. ولكِنْ أَلَا توجَدُ أَسْبابٌ أُخْرى تُنَمِّي هَذِهِ الطِّباعَ؟! لَو الْتَفَتَ كُلُّ إِنْسانٍ إِلى

ما عِنْدَهُ، وتَرَكَ ما عِنْدَ الآخَرِ لِلْآخَرِ، أَلَا يُقَلِّلُ هذا مِنْ سوءِ طِباعِهِ؟ ولَو كانَ أَشْجَعَ قَليلًا فَاعْتَرَفَ بِأَخْطائِهِ وحاسَبَ نَفْسَهُ عَلَيها، أَلَيسَ هذا أَفْضَلَ مِنْ تَجْريمِ الآخَرينَ؟ ولا شَكَّ أَنَّ هذا يَقودُنا إِلى سُؤالِ أَنْفُسِنا: لِماذا نَكْرَهُ؟ بَلْ لِماذا نَنْسى أَو نَتَناسى ما جاءَ في الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ أَنْ أَحِبَّ لِغَيرِكَ كَما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ.. وإِنْ كُنْتُ أُحَمِّلُ أَنْفُسَنا وِزْرَ الكَراهِيَةِ، لا أَنْسى أَنْ أُؤَكِّدَ على أَنَّنا لَو نَعيشُ في مُجْتَمَعٍ/ عالَمٍ تَسودُهُ العَدالَةُ الاجْتِماعِيَّةُ بِأَبْسَطِ مَعانيها، ولَو دَأَبَتِ الحُكوماتُ على تَوفيرِ الحَياةِ الكَريمَةِ لِرِعاياها لِهَبَطَ مَنْسوبُ الكَراهِيَةِ بَينَ النّاسِ، ولِكانَتِ الحَياةُ أَجْمَلَ!!

(البقيعة الجليل) 22/3/2017

الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ..

أَعْتَقِدُ أَنَّ تَنْمِيَةَ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ تَبْدَأُ مَعَ سِنَواتِ عُمْرِ الطِّفْلِ الأُولى، وذلِكَ بِاحْتِرامِهِ، والاسْتِماعِ إِلى حَديثِهِ بِمَحَبَّةٍ، واسْتِشارَتِهِ عِنْدَ شِرائِنا لَهُ مَلابِسَهُ أَو في اختِيارِ أَلْعابِهِ وما إِلى ذلِكَ.. مِمّا يُكْسِبُهُ شَخْصِيَّةً لَها اسْتِقْلالِيَّتُها بَينَ الَّذينَ يُعايِشُهُمْ، وَمِنْ ثَمَّ في مُجْتَمَعاتٍ على تَعَدُّدِ مُواصَفَاتِها.

إِذًا، الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ تُنَمَّى كَنَهْجٍ تَرْبَوِيٍّ في العائِلَةِ أَوَّلًا، ومِمّا يَكْتَسِبُهُ الطِّفْلُ مِنْ تَجارِبِ الحَياةِ، ومِمّا يَقْرَؤُهُ مِنْ كُتُبٍ؛ خاصَّةً سِيَرَ حَيَواتِ العُظَماءِ على مَرِّ العُصورِ ثانِيًا، ولَيسَ إِعْجازًا أَنْ نَتَعَلَّمَ - نَحْنُ العَرَبَ - الشَّجاعَةَ مِنْ عَنْتَرَةَ العَبْسِيِّ، والكَرَمَ مِنْ حاتِمِ الطّائِيِّ، والمُروءَةَ مِنْ عُرْوةَ بِنِ الورْدِ وجَماعَتِهِ، والحِلْمَ مِنْ مُعاوِيَةَ، والقائِمَةُ تَطولُ وتَطولُ... لا بِلْ لِيتَ المَناهِجَ الدِّراسِيَّةَ في مَدارِسِنا العَرَبِيَّةِ تَشْمَلُ مَوادَّ إِلْزامِيَّةً عَنْ هَؤُلاءِ وغَيرِهِمْ يَتَعَلَّمُها أَبْناؤُنا لِما فيهِمْ مِنْ صِفاتٍ صَقَلَتْهُمْ فَتَمَيَّزوا عَنْ غَيرِهِمْ بِقُوَّةِ شَخْصِيّاتِهِمْ؛ أَو ما يُعْرَفُ اليَومَ بِالشَّخْصِيَّةِ الكاريزْمِيَّةِ.. فَإِذا قُلْنا: فُلانٌ شَخْصٌ كاريزْميٌّ - مُعَرَّبَةٌ

عَنِ اليونانِيَّةِ- قَصَدْنا ذاكَ الشَّخْصَ القادِرَ على التَّأْثيرِ وجَذْبِ النّاسِ إِلَيهِ إِعْجابًا وتَقْديرًا..

الواثِقُ مِنْ نَفْسِهِ يَمْتَلِكُ القُدْرَةَ على المُواجَهَةِ والانْتِصارِ لِلحَقِّ.. هو الّذي لا يَتَحَزَّبُ لِفِئَةٍ ضِدَّ أُخْرى لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ قَريبٌ مِنْ إِحْداهُما.. هُو الّذي إِذا اقْتَنَعَ بِأَمْرٍ عَمِلَ جاهِدًا على تَحْقيقِهِ رَغْمَ مُعارَضَةِ الآخَرينَ لَهُ مادامَ الأَمْرُ صائِبًا.. وإِذا أَخْطَأَ فَلَدَيهِ القُدْرَةُ على الاعْتِرافِ بِالخَطَإِ، والاعْتِذارِ لِمَنْ أَخْطَأَ في حَقِّهِمْ.

أَلَدُّ أَعْداءِ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ الغُرورُ، والفاصِلُ بَينَهُما خَيطٌ رَفيعٌ يَكادُ لا يُرى.. ولكنْ لَسْنا بِحاجَةٍ إِلى عَينَي زَرْقاءِ اليَمامَةِ (واسْمُها حَذامِ مِنَ العَرَبِ اليَمانِيَّةِ عاشَتْ قَبْلَ الإِسْلامِ) لِنَرى ذاكَ الخَيطَ الرَّفيعَ ما دُمْنا، رُغْمَ ثِقَتِنا بِأَنْفُسِنا، مُحَصَّنينَ بِالتَّواضُعِ ومَعْرِفَةِ النَّفْسِ وقَدْرِها..

(البقيعة/الجليل) 5/4/2017

الرَّبيعُ..

مُخْطِئٌ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ فَصْلَ الرَّبيعِ اخْضِرارُ حُقولٍ، وصَفاءُ سَماءٍ، واعْتِدالُ طَقْسٍ فَقَطْ! ومُخْطِئٌ أَكْثَرَ مَنْ يَرَى رُبوعَ هذا الوَطَنِ المُنَمَّقَةَ بِما اللهُ وهَبَ، وبِما الطَّبيعَةُ مَنَحَتْ، ولا يَقِفُ صاغِرًا صامِتًا مُتَأَمِّلًا! جاءَ في الخَريدَةِ - مَتْنُ الخَريدَةِ البَهِيَّةِ لِصاحِبِها أَبي البَرَكاتِ أَحمد بِنْ محمد بن أَحمد الدَّردير، وهو فَقيهٌ ومُؤَرِّخٌ وأَديبٌ وصاحِبُ سِرِّ صَلاحِ الدّينِ الأَيّوبيّ.. تُوُفِّيَ سَنَةَ1201م -.... قالَ بَعْضُ فُضَلاءِ أَصْفَهان: أَمّا بَعْدُ فَإِنَّ الزَّمانَ جَسَدٌ وفَصْلُ الرَّبيعِ روحُهُ؛ هُوَ عُمْرٌ مَقْدورٌ وهو الشَّبيبَةُ فيهِ؛ ومَنْهَلٌ جَمٌّ وهوَ نَميرُهُ وصَفاؤُهُ..

ولَو أَخَذْنا بِعَينِ الباحِثِ في النَّفْسِ البَشَريَّةِ ونَوازِعِها ما جاءَ في الأَوصافِ الجَميلَةِ السّابِقَةِ، لَتَعَلَّمْنا أَنَّ حَياةَ الإِنْسانِ مُوَزَّعَةٌ بِحِكْمَةِ تَوَزُّعِ فُصولِ السَّنَةِ، بَلْ تَكادُ تَكونُ هِيَ.. فَالرَّبيعُ هُوَ الشَّبابُ بِما يَحْمِلُ مِنْ جُنونٍ بِالحَياةِ، ومِنْ فُتونٍ.. والصّيفُ هُو سَنَواتُ الجِدِّ والبِناءِ والعَطاءِ في عُمْرِ الإِنْسانِ.. والخَريفُ هُو سَنَواتُ

الرُّكونِ إلى السُّكونِ والبَوارِ.. وأَمّا الشِّتاءُ فَهْوَ المَواتُ أَو السُّباتُ..

لَيسَ مِنْ حَقِّ الإِنْسانِ العاقِلِ أَنْ يَكْتَفي بِالبَهْجَةِ الَّتي تَحُلُّ عَلَينا بِحُلولِ فَصْلِ الرَّبيعِ! لِيسَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكْتَفي بِتِلْكَ البَهْجَةِ مِنْ غَيرِ أَنْ يَقِفَ وَقْفَةَ تَأَمُّلٍ وحِسابٍ عَسيرٍ- رُبَّما - مَعَ النَّفْسِ، وأَنْ يَجْعَلَ مِنْ بَهْجَةِ الرَّبيعِ وجَمالِهِ غاسولًا يُنَظِّفُ بِهِ ما عَلِقَ في نَفْسِهِ مِنْ غَضَبٍ وحِقْدٍ وحَسَدٍ وعُنْفٍ وَمِنْ شَتّى أَدْرانِ الحَياةِ.. عَلَيهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ ويُعَلِّمَ أَنَّ عُمْرَ الإِنْسانِ، مَهْما طالَ، قَصيرٌ. فَما أَجْمَلَ أَنْ نَعْمَلَ على تَجْميلِ أَنْفُسِنا بِالصِّدْقِ، وبِالمَحَبَّةِ والتَّسامُحِ والإِيثارِ، كَما يُجَمِّلُ الرَّبيعُ وَجْهَ الأَرْضِ بِالعُشْبِ والزَّهْرِ، وكُلِّ ما تَسْتَسيغُهُ العُيونُ وتَرْتاحُ لَهُ القُلوبُ.. هذا العالَمُ جَميلٌ بِجَمالِنا، وما أَقْبَحَهُ! ما أَقْبَحَهُ!.... بِقُبْحِنا!!

(البقيعة الجليل) 12/4/2017

لُغَةُ الزُّهورِ..

كَثيرًا ما سَمِعْتُ القَولَ» صَداقَةُ فُلان كَصَداقَةِ النَّحْلَةِ لِلزَّهْرَةِ « أي إنَّها صَداقَةُ الحاجَةِ، وتَنْتَهي بِقَضاءِ تِلكَ الحاجَةِ. إنَّها مَقولَةٌ غَيرُ مَدْروسَةٍ، بَل هيَ ظالِمَةٌ لِلنَّحْلَةِ ولِلزَّهْرَةِ مَعًا؛ فَقَدْ أُثْبِتَ عِلْمِيًّا أَنَّ الحاجَةَ بَينَهُما تَبادُلِيَّةٌ؛ فَتاجُ الزَّهْرَةِ يَحْتَوي على صِبغاتٍ تَمْتَصُّ الضَّوءَ فَوقَ البَنَفْسَجِيِّ يَجْذِبُ النَّحْلَةَ إليهِ لِتَمْتَصَّ الرَّحيقَ، ولِتَحْمِلَ حُبَيباتِ اللَّقاحِ الذَّكَرِيَّةَ إلى أَزْهارٍ حُبَيباتُها أُنْثَوِيَّةٌ. بِمَفْهومٍ آخَرَ، هذا التَّواصُلُ لُغَةٌ بِينَ النَّحْلَةِ والزَّهْرَةِ، ولا فَرْقَ بَينَ شَكْلِ ولَونِ زَهْرَةٍ وأُخْرى، عِلْمًا بِأَنَّ اللَّونَ الأَزْرَقَ هُوَ الأَكْثَرُ جاذِبِيَّةً لِلنَّحلِ.

أَحَبَّ النّاسُ الزُّهورَ فَزَرَعوها ودَلَّلوها ثُمَّ قَطَفوها وصَنَعوا مِنْها أَكاليلَ لِأَفْراحِهِمْ ولِأَتْراحِهِمْ، ونَسَّقوها باقاتٍ تَهادَوا بِها، ثُمَّ خاطَبوا بَعْضَهُمْ بِها لِتُصْبِحَ لُغَةً مُتَّفَقًا عَلَيها.. فالزَّهْرَةُ الحَمْراءُ زَهْرَةُ الجَمالِ والحُبِّ؛ فإذا قَدَّمَ أَحَدُهُمْ زَهْرَةً حَمْراءَ لِفَتاةٍ فَكَأَنَّهُ يَقولُ لَها: أَنا أُحِبُّكِ كَثيرًا! وأَمّا الوَرْدَةُ الزَّهْرِيَّةُ فَتَحْمِلُ مَعْنى البَراءَةِ

والرِّقَّةِ والإعْجابِ.. والوَرْدَةُ الصَّفْراءُ تَرْمِزُ إلى السَّعادَةِ مَعَ الغَيْرَةِ.. والوَرْدَةُ البَيضاءُ تَعْني النَّقاءَ.. والغُصْنُ الأَخْضَرُ يَعْني الأَمَلَ والرَّجاءَ، فَإذا أَهْداهُ شابٌّ لِفَتاةٍ فَكَأَنَّهُ يَقولُ لَها: أَتَمَنَّى أَنْ تَكوني لي.. والوَرْدَةُ البُرْتُقالِيَّةُ رَمْزٌ لِرَهافَةِ المَشاعِرِ، وكَأَنَّ المُهْدِي يَقولُ لِلْمُهْدَى إِلَيهِ: رِقَّتُكَ تَفوقُ رِقَّةَ الوُرودِ.. والزَّرْقاءُ تَرْمُزُ إلى الوَفاءِ، فَإذا أَهْدَيتَها لِلْحَبيبِ فَكَأَنَّكَ تَقولُ لَهُ: أَنا لَكَ إلى الأَبَدِ! والوَرْدَةُ البَنَفْسَجِيَّةُ تُمَثِّلُ الإِخْلاصَ والحُبَّ الحَزينَ؛ أَي مَهْما حَدَثَ سَأَظَلُّ أُحِبُّكَ!

لُغَةُ الوُرودِ لُغَةٌ صامِتَةٌ ولكِنَّها ناطِقَةٌ بِما تَجيشُ بِهِ الصُّدورُ مِنْ عَواطِفَ إِنْسانِيَّةٍ وَمِنْ حُبٍّ، عِنْدَ المُحِبّينَ مِنَ النّاسِ خاصَّةً الخَجولينَ مِنْهُمْ، أَو الَّذينَ لا يُحِبّونَ أَنْ يَسْمَعُوا الرَّفْضَ نُطْقًا بَلْ إِيحاءً مِنَ الَّذينَ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ صَداقاتِهِمْ أَو حُبَّهُمْ ولَمْ يَقْبَلُوا تِلْكَ الصَّداقاتِ وهذا الحُبَّ، فالزُّهورُ تَكونُ خَيرَ مِرْسالٍ بَينَ شَخْصَينِ.. ولا حَرَجَ إِنْ ظَلَّ الرَّدُ، سَلْبًا أَو إِيجابًا، سِرًّا...!

(البقيعة الجليل) 26/4/2017

الجَمَالُ..

جاءَ في كِتابِ» أَدَبٌ وطَرب في مَجالِسِ العَرَب «لِصاحِبِهِ اسكندر الخوري البيتجالي (1890م-1973م): قالَ بَعْضُهُمْ في كِتابِ أَخْبارِ النِّساءِ لِابنِ قَيِّم (عالم عاشَ في دِمَشْق1292م-1350م)سَمِعْتُ يَحْيى بن سُفْيانَ (عالم من ليبيا 961م -1009م) يَقولُ: رَأَيتُ في مِصْرَ جارِيَةً بيعَتْ بِأَلْفِ دينارٍ، فَما رَأَيتُ وَجْهًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهَا، صَلَّى اللهُ عَلَيها وسَلَّم! فَقُلْتُ لَهُ: يا أَبا زَكَرِيّا، أَمِثْلُكَ يَقولُ هذا مَعَ وَرَعِكَ وفُقْهِكَ؟ فَقالَ: وما تُنْكِرُ عَلَيَّ مِنْ ذلكَ؟ صَلَّى اللهُ عَلَيها وعلى كُلِّ مَليحٍ؛ يا ابنَ أَخي، الصَّلاةُ رَحْمَةٌ!

حَقًّا.. ما العَيبُ في أَنْ نَرى وَجْهًا جَميلًا أَو لَوحَةً أَو مَنْظَرًا جَميلًا فَنُبْهَرَ بِجَمالِهِ! ما دامَ الجَمالُ شُعورًا إيجابِيًّا، وقيمَةً سامِيَةً مُرْتَبِطَةً بِالنَّزْعَةِ العاطِفِيَّةِ عِنْدَ الإِنْسانِ السَّوِيِّ؛ حَتّى أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيهِ الصَّلاةُ السَّلامُ قالَ: إِنَّ اللهَ جَميلٌ ويُحِبُّ الجَمالَ، والحَديثُ الشَّريفُ لا يَقِفُ عِنْدَ الجَمالِ المادِّيِّ/الحِسِّيِّ فَقَطْ بَلْ قَصَدَ الجَمالَ المَعْنَوِيَّ الّذي هُوَ

أَعْمَقُ وأَشْمَلُ مِنَ الجَمالِ المادِّيِّ، وهَوَ الأَبقى لِلْإِنْسانِ؛ فَإِذا ذَوى جَمالُ الوَجْهِ فَتَظَلُّ الأَخْلاقُ الحَميدَةُ كَالصِّدْقِ والمَحَبَّةِ والكَرَمِ والتَّسامُحِ وحُسْنِ التَّعامُلِ والجِوارِ... جَمالًا لا يَذْوي مَهْما امتَدَّ العُمْرُ بِصاحِبِهِ وطالَ.

يَظَلُّ الجَمالُ مَنْقوصًا إِذا لَمْ يُتَوَّجْ بِجاذِبِيَّةٍ تَزيدُ صاحِبَهُ فُتونًا، ولِيَتَحَوَّلَ مِنْ جَمالٍ صامِتٍ إِلى ناطِقٍ.. نَعْني بِالجاذِبِيَّةِ الثَّقافَةَ وطَلاوَةَ الحَديثِ، وخِفَّةَ الظِّلِّ، وحُسْنَ التَّعامُلِ مَعَ الآخَرِ، أَو ما يُعْرَفُ اليَومَ بِـ(الإِتِكيت)؛ ولَنْ أَكونَ مُجانِبًا لِلْحَقيقَةِ إِنْ قُلْتُ: قَدْ تَتَفَوَّقُ الفَتاةُ المُتَوَسِّطَةُ الجَمالِ على الجَميلَةِ بِجَذْبِ الأَنْظارِ، واسْتِمالَةِ قُلوبِ مُحَدِّثيها إِلَيْها وذلكَ بِجَعْلِ جَمالِها مُتَحَرِّكًا لا ساكِنًا، أَقولُ مُتَحَرِّكًا بِما تَحْمِلُ مِمَّا ذَكَرْناهُ مِنْ مُواصَفاتٍ.

أَمَّا مُسابَقاتُ الجَمالِ، والَّتي هِيَ أَشْبَهُ بِسوقِ نِخاسَةٍ! فَلِلْقائِمينَ عَلَيها مَقاييسُهُمُ الخاصّةُ، ومِنْها العُرْيُ، عِلْمًا بِأَنَّ السِّتْرَ والاحْتِشامَ يُكْسِبانِ الفَتاةَ جَمالًا فَوقَ جَمالِها ويُتَوِّجانِها بِتاجٍ مِنَ الوَقارِ والاحْتِرامِ... ما أَجْمَلَ أَنْ تَكونَ هَذِهِ المَقالَةُ عَنِ الجَمالِ خاتِمَةً لِهذا الكِتابِ...

(البقيعة الجليل) 3/5/2017

كُتُبٌ صَدَرَتْ لِلشّاعر:

1. وَطَنِي يَنْزِفُ حُبًّا – شِعر – الأَسوار/ عَكّا/ 1978م.
2. وَطَنِي رُدَّنِي إِلى رُباكَ شَهيدًا – قِصَص – الأَسوار/ عَكّا/ 1981م.
3. أَموتُ قابِضًا حَجَرًا - شِعْر – الأَسْوار / عَكّا/ 1986م.
4. تَمْتَماتُ آخِرِ اللَّيلِ – شِعْر – الَسوار /عَكّا/ 1988م.
5. قابِضونَ عَلى الجَمْرِ-شِعْر-ِإصْدار خاصّ 1991م.
6. حَديثُ الحَواسّ – شِعْر - إِصْدار خاصّ 1992م.
7. عَوَض يَسْتَرِدُّ صِباهُ – شِعْر – إِصْدار خاصّ 1993م.
8. أَنْتِ سَبِيَّتُهُم وشِعْري نَحيبُ العاجِز – شِعْر – إِصْدار خاصّ 1993م.
9. لَيسَ في الحَقْلِ سَوسَنٌ لِلفَرَح – شِعْر- إِصْدار خاصّ 1995م.
10. الحُبُّ أَوَّلًا – شِعْر – إِصْدار خاصّ 1995م.
11. فَرَحٌ يابِسٌ تَحْتَ لِسانِي – شِعْر – إِصْدار خاصّ 1996م.
12. على سَريرٍ أَبْيض – نَصّ – الأَسْوار /عَكّا/1998م.
13. أَنا هُوَ الشّاهِد – شِعْر – الأَسْوار /عَكّا / 2001م
14. تَضيقُ الخَيمَةُ يَتَّسِعُ القَلْب – شِعْر – الأَسْوار / عَكّا / 2007م.

15. الكِتابان - شِعْر – الأَسْوار /عَكّا / 2007م.
16. أَخَذَتْنِي القَوافي – شِعْر – إِصْدار خاصّ 2013م.
17. هذا العالَمُ لَيسَ بَريئًا – شِعْر – إِصْدار خاصّ 2014م.
18. إِنَّها قَرْيَتِي – نَصٌّ تَسْجيلِيّ – مَنْشورات أ. دار الهُدى عَبد زَحالقة 2016مَ.
19. أَفْراحٌ مُؤَجَّلَةٌ – شِعْر – مَكْتَبَةُ كُلِّ شَيء / حَيفا 2017م.
20. دَبيبُ نَمْلَةٍ – رِوايَةٌ – مَنْشورات أ. دار الهُدى عبد زَحالقة 2018م.
21. قَبْلَ أَنْ يَرْتَعِشَ القَلَمُ – شِعْر – مَكْتَبَةُ كتلِّ شَيء / حَيفا 2020م.
22. غُصْنُ الفَيجَن – قِصَص – مَكْتَبَةُ كُلّ ِشَيء / حَيفا 2021م.
23. صَباحُكُم سُكَّر – إِضاءات – مَكْتَبَةُ كُلِّ شَيء / حَيفا 2022م.